الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:...../.....

1-رقم التسجيل:.1335085302

2 -رقم التسجيل:1335085305

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر : شعبة :الدراسات الأدبية

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان:

الإتجاه الواقعي في رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" لخالد خليفة

إعداد الطالبتين

1. **سعدي نهى**
2. **ميهوبي هالة**

تاريخ المناقشة:2018/06/25

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الاساتذة:

حياة بوخلط	**الرتبة: أستاذ محاضر** – ب–	جامعة المسيلة	رئيسا
خالد وهاب	**الرتبة: أستاذ محاضر** – أ–	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
مراد قفـــي	**الرتبة: أستاذ محاضر** – أ–	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية : 2017- 2018 م/1439- 1440هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ،والشكر لجلاله سبحانه وتعالى الذي أعاننا على إنجاز هذه المذكرة،

اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد أما بعد :

بعد أن أتممنا مذكرتنا استذكرنا الجهود التي تسببت في وصولها إلى شاطئ الأمان ونجد أنفسنا في كلمة لا بد أ، نذكرها وهي أن العمل قد تم على ما هو عليه بفضل الله تعالى وهذه الكلمة نتوجه فيها إلى الله بالدعاء والشكر وإلى مكل من أفادنا من العلم حرفا، وإلى كل من قصدناه فأعاننا واستنصحناه فنصحنا، وحدثنا فصدقنا .

دعاء من القلب بأن يجزيه الله عنا خير جزاء .

فما كان لمذكرتنا أن تخرج الى النور لولا التوجيه السديد والرعاية الفائقة التي شملنا بها الأستاذ "وهاب خالد "وكان لملاحظاته القيمة الأثر الكبير في إظهار هذه المذكرة

فضلا عن إشرافه علينا وتشجيعه.

فقد قيلا: "من علمني حرفا ملكني عبدا" .

ونسأل الله التوفيق والسداد .

MY HOUSE ON WEB
http://www.myhouseonweb.es/

الإهداء

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى:

والدتي العزيزة.

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح الذي علمني كيف أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر إلى :

والدي العزيز.

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى:

إخوتي: بسام ،هاشم، وسيم.

أخواتي: سلسبيل ،جنة، ندى، أسيل، شهلة وزوجها عز الدين.

الكتكوتين: محمد ورهف.

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح والإبداع

إلى من تكاتفنا يدا بيد ونحن نقطف زهرة تعلمنا إلى:

صديقاتي وزميلاتي: صفية ،نهى ،هدى، نور، خديجة، كنزة.

إلى من أعانني كثيرا في حياتي وكان سندي إلى: حسين.

إلى من علموني حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى عبارات في العلم إلى من صاغوا من علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا مسيرة العلم والنجاح إلى :

أساتذتي الكرام.

أهدي هذا العمل المتواضع راجية من المولى عز وجل القبول والنجاح.

ميهوبي هالة

الإهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

أما بعد:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات وبالدعوات إلى

أغلى إنسانة على هذا الوجود.

أمي الحبيبة.

من كد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه.

أبي الكريم أدامه الله لي .

إخوتي :نبيل ،حسام، محمد، علاء، فؤاد، ثابت، عبدو.

أخواتي: وفاء ،شروق، ندى

جدتي زهيرة شفاها الله.

إلى روح الخالة الغالية الزهرة رحمها الله والى ابنها تامر.

من عملت معي بكد بغية إتمام هذا البحث صديقتي ورفيقة

دربي هالة مبهوبي.

صديقاتي وأخواتي الغاليات: صفية، نجية، أنوار، عيشة،

مروة، رفيقة، منيرة.

أساتذة قسم الأدب العربي و الزملاء دون استثناء.

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي لولاه لما جرى القلم، ولا تكلم اللسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كان أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا، وصلى وسلم على آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الدجى، وبعد:

إن الأحداث التي عرفها العالم العربي عامة والسوري خاصة، سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي تستوجب وقفة تأملية، وهذا ما أنتج عدة أدباء مبدعين رسموا واقعهم المرير، كيف لا والأدب هو المرآة التي تعكس حال الأمم والمجتمعات.

فقد اختلفت الأجناس الأدبية من قصة وشعر وراوية، إلا أنها هذه الأخيرة احتلت المرتبة الأولى باعتبارها جنسا أدبيا شديد التأثير في المجتمعات، سواءا بالتغيير أو نقل الوقائع، إذ تكاد تتبوأ المكانة التي كان يحظى بها الشعر عند العرب في الزمن الماضي، كما أن اتساع مجالها يرجع إلى اختلاف اتجاهاتها من تاريخية ونفسية وواقعية، هذه الأخيرة اخترناها لتكون مجال بحثنا، فهي اتجاه نشأة وترعرع في كنف الحضارة الغربية، وقد ظهر على أنقاض الرومنسية، فأوجد للإنسان عالما واقعيا ملموسا بعد أن كان يحلق في الفضاء بخياله الواسع، ومن هنا فالأديب الواقعي هو المرآة العاكسة للمجتمع ومهمته نقل وتصوير الواقع كما هو في الحقيقة، لهذا اتخذنا من رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" للروائي خالد خليفة موضوعا للدراسة، ليكون عنوان البحث: "الإتجاه الواقعي في الرواية العربية، رواية لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة "أنموذجا".

وعليه نطرح الإشكالات الآتية:

- ماهي الواقعية؟ وماهي أهم سيمات وخصائص الاتجاه الواقعي العربي؟ وما مدى تجلي الواقعية في رواية لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة؟

ولعل السبب الرئيسي الذي دفعنا لاختيار الموضوع هو رغبتنا في الكشف عنه، من أجل معرفة الواقع على حقيقته، إضافة إلى النموذج الذي اقتضته الدراسة يحمل عنوانا

يستقطب الأنظار ويوحي إلى أشياء تدفع قارئه إلى ولوج هذه الدراسة إضافة إلى قلة الدراسات حول المذهب الواقعي، ومن أهم الدراسات التي سبقت وأشارت إلى هذا الاتجاه نذكر رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر درست واقع مدينة جاكارتا جاءت تحت عنوان "الواقعية في روايات نجيب الكيلاني رواية " عذراء جاكارتا" أنموذجا.

- وجاء بحثنا هذا مقسما كالآتي:

مدخل تمهيدي تحت عنوان: الإتجاه الواقعي في الرواية قسمناه إلى عدة عناصر، العنصر الأول تناولنا فيه مفهوم الواقعية، والعنصر الثاني تناولنا فيه أسباب ظهور الواقعية، أما العنصر الثالث فقد تطرقنا فيه إلى موضوعات الواقعية، في حين العنصر الرابع وضعناه خصيصا لخصائص الواقعية، أما العنصر الخامس تناولنا فيه اتجاهات الواقعية، أما العنصر السادس والأخير تناولنا فيه نشأة الواقعية عند الغرب وعند العرب.

- جاء الفصل الأول تحت عنوان " النزعة الواقعية في رواية لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" مزجنا فيه بين النظري والتطبيقي، وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث، الأول تطرقنا فيه إلى واقعية الأحداث في الرواية، أما الثاني فتطرقنا فيه إلى واقعية الشخصيات حيث تناولنا فيه مفهوم الشخصية وأهميتها وظاهرة صراع الأجيال في الرواية، أما المبحث الثالث: فتحدثنا فيه عن واقعية المكان و عرضنا فيه مفهوم المكان وأهميته وواقعية المكان ودلالته في الرواية.

- أما الفصل الثاني جاء تحت عنوان " تجليات الواقع في الرواية"، وقسمناه إلى مبحثين أما المبحث الأول فتطرقنا فيه إلى الواقع الاجتماعي حيث عرضنا أهم الظواهر التي تتخلل المجتمع السوري أهمها: إنفلات المرأة، المثلية الجنسية، الشعور بالعار، الفساد والخراب...الخ، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه الواقع الإيديولوجي حيث تكلمنا فيه عن مظاهر الصراع الإيديولوجي مثل العنف السياسي، ...الخ.

– وبعدها ختمنا بحثنا بجملة من النتائج كانت عبارة عن استنتاجات عبرنا من خلالها عن وجهة نظرنا حول الموضوع ككل.

كما اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج البنيوي، و كان للمنهج الوصفي التحليلي حضورا نسبيا، حسب ما تقتضيه الدراسة.

- وقد استندنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر والمراجع من أهمها:
- كتاب " مذاهب الأدب معالم وانعكاسات" لياسين الأيوبي.
- " بنية النص السردي من منظور النقد العربي" لحميد الحميداني.
- "بناء الرواية – دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ" لسيزا قاسم.
- إضافة إلى بعض الكتب المترجمة منها:
- " جماليات المكان" لغاستون باشلار.
- "أثر الاسلام في العقلية العربية" للويس غارديه.
- وكأي بحث واجهتنا صعوبات تمثلت في قلة المصادر والمراجع التي تدرس عمل الروائي " خالد خليفة" لكن رغم ذلك لم يمنعنا هذا من الإلمام بحيثيات الموضوع.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من قدم لنا يد العون لإنجاز هذا البحث خاصة الأستاذ المشرف " وهاب خالد" الذي أعاننا بتوجيهاته على إنجاز بحثنا هذا.

كما نتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة.

مدخل

الاتجاه الواقعي في الرواية

أولا : مفهوم الواقعية

ثانيا : أسباب ظهور الواقعية

ثالثا : موضوعات الواقعية

رابعا : خصائص الواقعية

خامسا : اتجاهات الواقعية.

سادسا : نشأة الرواية الواقعية وتطورها .

تمهيد:

المذهب الأدبي أو المدرسة الأدبية جملة من الخصائص والمبادئ الأخلاقية والجمالية والفكرية. ويشمل المذهب كل أنواع الإبداع الفني كالأدب والموسيقى والرسم والنحت والزخرفة فهو حصيلة فلسفية تبلور نظرة الأمة إلى العالم والإنسان، وموقفها وهدفها وبالتالي طرائق تعبيرها الفنية. ولايجري الإنتاج الأدبي والفني بمعزل عن المجتمع والبيئة، فالمبدع محكوم إلى حد بعيد بمحيطه الذي يعيش فيه ويكون جزءا منه يبادله التفاعل، وفي سياق الحديث عن المذهب نشأت في الفكر الأدبي مجموعة مذاهب، لعل أهمها المذهب الواقعي أو المدرسة الواقعية .

أولا:مفهوم الواقعية.

أ-لغة:

قد جاء في لسان العرب"لابن منظور" كلمة الواقعية على النحو التالي:

الواقع: هو اسم فاعل من وقع بمعنى أنزل وسقط.

وقع: وقع على الشيء ومنه يقع وقعا ووقوعا سقط، ووقع الشيء من يدي كذلك، وأوقعه غيره ووقعت من كذا وعن كذا وقعا، ووقع المطر بالأرض، ولا يقال سقط، هذا قول أهل اللغة. وقد حاكاه "سيبويه" فقال:

"سقط المطر مكان هذا فمكان كذا".

أوقع: به ما يسوؤه كذلك وقال عز وجل :"لما وقع عليهم الرجز" معناه أصابهم ونزل بهم. ووقع الطائر يقع وقوعا، والإسم: الوقعة يزل عن طيرانه فهو واقع وإنه لحسن الوقعة بالكسر ،والطير وقع ووقوع واقعة وقوله:

فَإنَّكَ وَالتَّأبينُ عُرْوةٌ بَعْدَمَا دَعَاكا وأيْدينَا إليْه شَوَارِعُ

لَكَا لرَجُل الحَادي وَقَدْ تَلَعَ الضُّحَى وَطَيْرَ المَنَايَا فَوْقهُنَّ أَوَاقعُ.

كما جاء كذلك واقع جمع واقعة بهمز الواو الأولى.ووقيعة الطائر وموقعته بفتح القاف: موضع وقوعه الذي يقع عليه، ويعتاد الطائر إتيانه وجمعها مواقع .ووقع الحديد والمدية والسيف والنصل يقعها وقعا أحدها وضربها.

قال "الأصمعي": "يقال ذلك إذا فعلته بين حجرين".

قال أبو" وجزة السعدي":

حَرَى مَوْقعَةٌ مَاجَ البَنَانُ بهاَ عَلَى خِضَمٍّ يَسْقى المَاءُ عُجاَجَ.

ويقال: وقعت أوقع وقعا ومنه قول "أبي المقدام" واسمه "جساس بن قطب "[1]:

يَالَيْتَ لي نَعْلَيْن منْ جلَد الضَّبْع

وَشرْكًا منْاسْتَهَالاَ تَنْقطعُ

[1] ابن منظور لسان العرب، دار صادر بيروت،ط-1، مج6،ج54 (مادة وقع).

كُلُّ الحذَاء الحاَفي الوَقْع

قال "الأزهري": معناه أن الحاجة تحمل صاحبها على التعلق بكل شيء قدر عليه، قال: نحو قولهم الغريق يتعلق بالطحلب ووقعت الدابة ذو وقع إذا أصابها داء ووجع في حافرها من وطئ على غلط،ووقعت الحجارة الحافر فقطعت سناكبه توقيعا ومنه حافر موقوع مثل وقيع ومنه قول "رؤية":

لأُمَّ يَدُقُّ الحَجَرَ المُدَ مْلَقَى بكُل مَوْقُوع النُّسُورُ أَخْلَقاَ[1].

ولما أخذنا التعريف اللغوي للواقع والواقعة من معجم حديث وجدنا فيه أن:

الواقع:(الجمع وقع ووقوع) الحاصل، الحقيقة عكسه الخيال، طائر واقع: طائر قائم على الشجر أو في وكنه.

أما الواقعة: جمعها واقعات: الحدث الحقيقي.

والواقعة مؤنث الواقع، المصادمة في الحرب أو المصيبة من مصائب الدهر [2].

ونخلص مما جاء في التعريف اللغوي للفعل الثلاثي وقع اشتقاقه يقع وقعا ووقوعا: السقوط وإنزال الشيء على الشيء وهذا ما يفيده في الكلام حقيقة كما سبق ذكره :وقع الطير على أرض أو شجر، وقع المطر على الأرض أو أوقعت الدواب أي ربطت على الأرض.....الخ

ومن هنا فمفردة الواقع تعني النازل، ومنها كلمة الواقعة أي: النازلة ووقائع أي نوازل وقد عرفت الوقائع عند العرب .

ودلت الواقعة على النازلة وبهذا سمى القرآن الكريم يوم القيامة بالواقعة في قوله تعالى:

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾[3].

أي يوم القيامة وما سيحصل فيه من أهوال ونكائب.

---

[1] ابن منظور لسان العرب، دار صادر بيروت،ط-1، مج6،ج54 (مادة وقع).

[2] محمد حمدي مرشد الطلاب، منشورات المرشد الجزائرية،ط2، 2007م، مادة (الواقعة).

[3] سورة الواقعة، الآية:1-2.

ب-اصطلاحا:

اشتهرت وشاعت في العصر الحديث كلمات: الواقع، الواقعي، والواقعة، والواقعية، لا ككلمات لغوية لها دلالتها المفردة،بل كاصطلاحات ومفاهيم مذهبية في الفن والفلسفة والسياسة والأدب. فالواقعية Réalisme كاصطلاح مذهبي ظهرت بعدما ضعف المذهب الرومانسي في فرنسا وفي كثير من دول أوروبا وأمريكا .وقداختلف مفهومها عند كثير من الأدباء والنقاد،فبعضهم يعرفها أنها:

"المذهب الذي يقرر الواقع الخارج عن التعقل وجودا مستقلا، ويقيس صدق الكلام بمطابقته للواقع، وهي بهذا المعنى تقابل المثالية"

فمثلا الواقعية في الفن هي "مذهب من يطلب من الفن أن يعكس ويعكس ويعبر عن الواقع، وليس عن المثاليات"

فالواقعية كمصطلح فني مذهبي، ظهرت في فرنسا عام 1826م في سياق النقد الأدبي الفني، وكانت قبل ذلك صفة عامة تطلق كل نتاج فكري يعتمد الحياة الإنسانية والطبيعية وكل ما يدخل في نطاق الإدراك الحسي[1] .

ويهدف المذهب الواقعي إلى تصوير الواقع العادي والمبتذل أحيانا، من خلال البحث عن الحقائق الإنسانية والاجتماعية ولذلك قيل:

"الواقعية هي مدرسة الإخلاص في الفن"

أي أن الكاتب الواقعي هدفه تصوير الواقع بغية الكشف عن الحقيقة الإنسانية والاجتماعية بصفة عامة .هذه تعاريف مختصرة للواقعية في الفن ولأن الفن هو أول الأشياء المتصلة بالإنسان فقد بدأنا به .أما الواقعية في الفلسفة فهي شيء آخر غير الواقعية في الفن

[1] سعيد يقطين، فيصل دراج، أفاق نقد عربي معاصر، دار الفكر المعاصر، بيروت –لبنان–ط1، ص100.

وفي الأدب .يقول ديدرو: "الحقيقة أساس الفلسفة "فالواقعية في الفلسفة هي مذهب يجعل للواقع المادي الدور الأول وقول بحقيقة الإنسان في ذاته مستقلا عن العقل والفكر[1]"

"ويرى دعاة هذا المذهب أن كلمة "الواقعية" تقابل كلمة المثالية فالواقعية تمثل الجانب الواقعي من الحياة بينما تمثل المثالية الجانب المثالي .والواقعية ترى بحكم الواقع الملموس أن الحياة كلها شر وأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش إذا لم يكن ماكرا مخادعا بينما ترى المثالية عكس ذلك تماما فالحياة في نظر المثاليين خير وسلام .والإنسان في نظرهم طالب خير وكلما كان أقرب إلى السعادة[2]".

وقد كانت هذه الرؤية الفلسفية للتيار الواقعي واتجاهاته، ونحن كل ما يهمنا هو الواقعية في الآداب. وما هو تعريفها الاصطلاحي المتفق عليه من قبل النقاد والأدباء: فالواقعية الأدبية بمعناها العام والواسع: هي كل ما يمتاز به الأدب من تصوير دقيق للطبيعة والإنسان مع العناية الكبيرة بالتفاصيل المشتركة للحياة اليومية .

وبهذا المعنى تصبح الواقعية صفة أدبية تطلق على مختلف العصور الأدبية،في الحكايات الشعبية القديمة ومهازل القرون الوسطى، ومهازل "موليير" التي تتضمن من الواقعية أكثر مما تتضمنه مآسي "راسين"[3] فالواقعية هي ذلك التيار الذي يتجه لدراسة الأدب بوصفه نتاجا للواقع الطبيعي أو الاجتماعي أو التاريخي من خلال معطيات ومفاهيم معينة حددها الفكر الغربي .

ويخطئ كثيرا من يعتقد أن الواقعية في الأدب كانت رد فعل للرومانسية أو لغيرها من المذاهب، ذلك لأن المدرسة الواقعية أصيلة الجذور فيه ، ولكنها لم تعرف اصطلاحا كمذهب من مذاهب الأدب ومدارسه المعاصرة إلا في القرن الثامن عشر .وربما كان عدم تفهم الناس

---

[1] ياسين الأيوبي، مذاهب الأدب معالم وانعكاسات الكلاسيكية، الرومنطيقية، الواقعية ،دار العلم للملايين ،لبنان،أكتوبر 1984–ط2 ص312.

[2] حامد حنفي داود، تاريخ الأدب الحديث تطوره معالمه الكبرى مدارسه ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية بن عكنون–الجزائر–سنة1993م ، ص125–126 .

[3] ياسين الأيوبي، مذاهب الأدب معالم وانعكاسات ، المرجع السابق، ص311

للتعريف الاصطلاحي للمذهب الواقعي هو الذي جعلهم يخطئون فهم المقصود من الواقعية في الأدب .

فمن الأدباء من يفهم من الواقعية معناها السطحي وهو ملاحظة الواقع وتسجيله في صورة محسوسة مجردة من الزخرفة والخيال. ومنهم من يفهم من الواقعية ذلك الأدب الذي يصور الحياة الاجتماعية والمشاكل اليومية لعامة الشعب. فهم يقابلون بينه وبين الأدب الأرستقراطي الذي يصور طبقة المترفين الذين يعيشون في أبراجهم ولكن أدب الواقع خصص للشعب وعامة المجتمع، يعالج جزئيات الحياة وبسائطها المحسوسة بينما خصص الثاني ليعالج الطبقة الخاصة ويسبح معهم في سماوات الفكر ويناقش معضلات الفلسفة وأحداث التاريخ[1].

والواقعية نسبة إلى الواقع Le réel وهو الموجود حقيقة في الطبيعة والإنسان، والواقع نوعان: حقيقي وفني والأول ما إذا وصف الإنسان كان صادقا وأمينا لمرافقته ما هو موجود وكائن، إنه بوصفه يأتي بنسخة عن الواقع كالصورة الفوتوغرافية. والثاني وهو المعول عليه في الأدب يقوم على خلق إبداعي لواقع لا يشترط أن يكون حقيقيا بحذافيره صحيح أنه يستقي عناصره من الواقع الحقيقي لكنه يجاوز ويزيد وينقص ويختلف ويعيد التكوين ليأتي بواقع ليس نسخة أمينة للواقع الحقيقي بل هو محاك له وممكن الوجود والتصوير، لأنه يجري في نطاقه ويخضع لشروطه وآلياته العادية.

إن الكاتب الواقعي يخلق أشخاصه ويرسم ملامحها ويصور البيئة كما يشاء، ولكن ضمن الأطر المألوفة التي لا نشعر إزائها بالغرابة والاستنكار، وبهذا يشبه اللوحة الفنية التي يرسمها الفنان مستمدا عناصرها من الواقع الخارجي الحقيقي ،ومخيلا لك واقعا آخر هو واقعه الخاص الذي يراه من زاويته الإبداعية الحرة،فنراه يتلاعب بالألوان والظلال والخطوط والأشكال والتكوين كما يشاء دون الابتعاد عن منطق الواقع وطبائعه في الإنسان والمحيط.

[1] حامد حنفي ، تاريخ الأدب الحديث، مرجع سابق، ص125-126.

فالواقعية الأدبية إذن هي تصوير مبدع للإنسان والطبيعة في صفاتهما وأحوالهما وتفاعلهما ،مع العناية بالجزئيات والتفصيلات المشتركة للأشياء والأشخاص والحياة اليومية ولو كانت تفصيلات مبتذلة وكل ذلك ضمن الإطار الواقعي المألوف ،إنه واقع لا يشترط فيه الأمانة والصدق في النسخ، بل كل ما يشترط فيه "الصدق الفني" وبهذا يتحول الكاتب إلى فنان مبدع لا إلى نساخ أو كاتب تقرير[1].

ومن الأدباء من يفهم الواقعية ذلك الأدب الموضوعي، وكأن هؤلاء يتخيلون فارقا بين واقع الموضوعات وواقع النفس الفردية، أي أن واقع النفس أو الذات لا يصلح مادة للأدب الواقعي .وربما كان هذا النوع من النفس هو الذي جعلهم يعتقدون أن الأدب الواقعي هو الأدب الاشتراكي الذي يعالج مشاكل المجتمع كما يصور مظاهر البؤس رغبة في إيقاظ وعي الجماهير ودفعها إلى حل تلك المشاكل.

ومع أن الواقعية اختصت واعتنت بالنثر أكثر من الشعر والسبب في ذلك أن النثر أقرب إلى لغة الواقع.ومن هنا يمكن القول بأن الواقعية هي انعكاس الواقع الخارجي في نفس الأديب وليس رسما مجردا له.

إذن: الواقعية هي صورة للواقع ممزوجة بنفس الأديب وقدراته على التصوير الفني.ومن خلال هذه التعاريف الممزوجة للواقعية لا بد أن لهذه المدرسة الأدبية اتجاهات تميزها عن المدارس الأخرى .كما أن لها موضوعاتها الخاصة باعتبار أن هذه الأخيرة جمعت بين الفن والفلسفة والأدب واعتنت اعتناءا ظاهرا بالأدب[2].

"الواقعية تبشر بشيء ولا تدعو إلى سلوك خاص في الحياة .كل هذا بعيد عن طبيعتها، وإنما ينصب همها على فهم واقع الحياة وتفسيرها على النحو الذي تراه فهم وتفسير قد ينتج عنه الخير وينتج عنه الشر.

---

[1] عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها،منشورات اتحاد الكتاب العرب – 1999 د–ط ص134.

[2] حامد حنفي داود، تاريخ الأدب الحديث ،مرجع سابق،ص129

فالخير يأتي من التصبر بالواقع، حتى لا يقع الأخيار فريسة للأشرار أو حتى لا تقوم المثالية الساذجة إلى الفشل في الحياة والتردي في مآزقها .كما أنها قد تنفر من قبح هذا الواقع وتدفع إلى إصلاحه وأما الشر فقد يأتي من التشكيك في القيم المثالية وهي قيم إن لم تكن حقائق واقعة فهي ضرورات خيرة لا بد منها لكي تستقيم حياة الفرد وحياة الجماعة، ولكي لا ترتد الإنسانية إلى الهمجية الأولى أو الوحشية الفطرية"[1].

التعليق على القول:

إننا نفهم من خلال القول أن الواقعية كمذهب لا تختص في شيء معين وإنما هي كمحاولة للتداخل مع الطبيعة من أجل فهمها على الصورة التي نحن نراها بها أي لا نزيد فيها ولا ننقص، وبهذا قد يكون فهمنا إيجابيا أو سلبيا، كما أن الكاتب يريد من خلال كلامه أن يدلنا على أن الواقع خير وشر في ذاته وكل ذلك متعلق بالإنسان ومن خلال رؤيته الموضوعية لعالمه فقد يكون خيرا له ويقوده ذلك إلى النجاح والإصلاح، ولتنتقل بالفرد من خلال أنه عضو فعال في جماعته من همجيته البدائية إلى التحضر والازدهار في حياته، إذن فالإنسان كلما كانت رؤيته للعالم الخارجي بواقعيته الحقيقية كان النجاح حليفه أما إذا تغيرت هذه الأخيرة تغيرت النتيجة وصارت سلبية.ومن بين الخصائص كذلك أنها تعتبر مشاكل العصر الاجتماعية هي المادة الأساسية لهذا النوع من المذاهب...

ثانيا: أسباب ظهور الواقعية:

المذاهب أو التيارات الأدبية لا يمكن أن تخلق من العدم على الإطلاق، فلابد من أرضية وجو ملائم لنشأة تيار أدبي ما، وإنه لمن السذاجة الاعتقاد بأن الكتاب أو النقاد يستطيعون أن يضعوا قواعد وأسس مذهب أدبي دون مراعاة لملابسات الحياة ولظروف العصر الفكرية والنفسية، والاجتماعية والتاريخية .....الخ[2] فالواقعية ارتكزت على عدة أسباب وعوامل ساعدت على ظهورها وانتشارها، وحصدت الرومانسية بدور الواقعية في

[1] محمد مندور، الأدب ومذاهبه، دار النهضة، القاهرة، دت، دط، ص90.

[2] الرشيد بوشعير، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوربية دمشق الأهالي ،ط1، 1996، ص15.

طياتها، ومن المعروف أن الرومانسية سارت في اتجاهين: الاتجاه المحافظ والاتجاه التحرري، وقد كان النزول إلى الواقع وإسهامه في كثير من الأحيان من أهم خصائص الاتجاه التحرري، وهذا ما لمسناه في قصائد "بايرون" وروايات "هيجور" "وجورج ماند"، حتى كانت رواية"والتر سكوت "أخيرا الحد الفاصل بين الروايات الرومانسية والواقعية[1].

جاءت الواقعية تحمل في طياتها الرد على العوامل المثالية التي كانت تصورها الرومانسية، وحاولت أن تستمد أساسياتها من لب الواقع الاجتماعي، وقد قادت بدورها بنزول الكاتب إلى الحياة وتصويرها وتشخيص كل المواضيع المحيطة وقضى على القوانين التي ذكرها الكلاسيكيون، والمتعلقة بضرورة انتقاء المواضيع الجديرة بالتصوير والشخصيات الجديرة بأن تكون بطلة التراجيديا أو الكوميديا،فأصبحت الحياة البشرية بكل تعقيداتها وتبعها موضوع الأدب وأصبح بطل الإنسان بغض النظر عن انتمائه لطبقة معينة وانتسابه لأسرة ما دون غيرها[2] .

ذلك هو الجو الفكري والفلسفي الذي أحاط بالواقعية فرجحت كفنها في موازين الذوق والأدب وخففت كفن الصراعات الرومنتيكية وآدابها، فأصبح الواقع هدفا منشودا وإتجاها مطلوبا تنادي به الأدباء والنقاد على وجه العموم...[3].

وإذا كان مبدأ الحرية هو شعار الواقعية،فلقد طالما آذنتهم خصوم الظلم الفكري ومن تقاليد الظلم السياسي، فثاروا بالملوك والأمراء وأسقطوا حقوقهم المجحفة من أعتاق الناس وقد تتابعت الثورات في مطلع هذا العصر الحديث، حيث قامت الكثير من الثورات من أجل التحرر من القيد السياسي والاقتصادي الذي فرض في نصف القرن التاسع عشر[4].

---

[1] زكرياء شرفي، مفهوم الواقعية في الآداب والفن ، والموقف الأدبي دمشق حانون الثاني ، 1974، ص20.

[2] عماد حاتم، مدخل الى تاريخ الآداب الاوربية ،ليبيا تونس ،دار العربية لكتاب ،1399هـ، 1979م،ص32.

[3] محمد مندور، الآداب وفنونه، مكتبة النهضة، مصر القاهرة ،ط5،2006 م، ص59.

[4] الرشيد بوشعير، الواقعية و تياراتها في الآداب السردية الاوربية ،ص17.

وكان للتقدم العلمي دورا مهما في نشأة الواقعية إذ أن عدم التحليل والتجربة والإهتمام بالتفصيل والموضوعية سرعان ما انتقلت إلى دنيا الأدب[1].

وبهذا فقد نشأت الواقعية في القرن التاسع عشر استجابة لعوامل عديدة، وقد راحت في الفن القصصي والمسرحي وكذلك الفلسفة، ونشأت كرد فعل للحركة الرومانسية والحركة الكلاسيكية، فابتعدت عن الإبتكار والخيال.

ثالثا-موضوعات الواقعية:

لقد ارتكزت موضوعات هذا المذهب على الرواية والمسرحية في إطار ثانوي مرسل، والواقعية ذهبت إلى تصوير المجتمع ومختلف العناصر المتداخلة فيه.

وقد عبر "جوستاف فولبير" عن ذلك خير تعبير حين قال:"الروائي هو قبل كل شيء فنان يعمل على إنتاج فني كامل وهذا لا يحصل إلا عندما يتخلى عن أفكاره ومشاعره وانفعالاته الشخصية".

لم يكتف "فولبير " بذلك، بل راح يحتقر الأدباء الذين يوحون بانفعالاتهم في أعمالهم الأدبية:

"إن الذين يحدثونك عن حبهم الماضي وعن قبور آبائهم وأمهاتهم وعن ذكرياتهم المقدسة، وكل الذين يقبلون الأيقونات ويطربون حنانا لدى رؤيتهم ويعمموا عليهم في الفرح،ويتخذون أمام البحر شكلا المتأمل، إن هؤلاء جميعا من العجينة نفسها، غشاشون ومهرجون يقفزون قفزة اللوح على قلوبهم ليصلوا إلى شيء ما بقدر ما يبقى الروائي على حياد ،فلا ينخرط في حياة أبطاله الخاصة ويتمكن من تصوير الحقيقة الخارجية".

وبهذا المعنى يقول "فلوبير" "أن تنخرط في الحياة يعني أنك تسيء فهمها"[2].

---

[1] حسام الخطيب ،جوانب من الادب و النقد في الغرب ،ط1 ،1997_1998م، ص80.

[2] فليب فانتغين، المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، ترجمة فريد أنطونيوس، عويدات للنشر والطباعة، ط 3 ،1986م ،ص23.

هذا يعني أن الواقعية تنطبق على الطبقات الاجتماعية القريبة من الطبيعة والحقيقة الإنسانية العميقة، وعلى كل فإن الروائي إنما يتوجه بعمله نحو الشعب، لأن هذا الأخير الحر في الأفكار قادر على تذوق الواقعية أكثر من رجال المجتمع والنقاد الغارقين بالعلوم الاجتماعية والأدبية القديمة، وبنية الإلتزام بقضايا الشعب وتصويرها ومعالجتها [1].

رابعا- خصائص الواقعية:

لقد قام الدكتور "محمد مندور" بشرح طبيعة نظرية الواقعية الغربية شرحا سليما جاء فيه:

- أنها أشد المذاهب الأدبية حيوية وأطولها عمرا،فإذا تذكرنا أنها ولدت في منتصف القرن الماضي أدركنا أنها عاصرت الرومنتيكية وورثتها وشهدت الطبيعة وتجاوزتها، وتأملت مولد غيرها من المذاهب الموقوتة التي لم تعمر دون أن تفقد قوتها عن التحدث، والانبعاث وامتصاص ما في التجارب الأخرى من عناصر صائبة وتجديدات سديدة.من هنا تعددت وجوه الواقعية وتنوعت أصولها واتسمت في تطورها بالخصوبة،ولم تقتصر في دورها على الماضي وإنما امتدت لتحتضن إنتاج الغد بما احتوته من نزعة مستقبلية أصيلة.

إذ كانت تدين في نشأتها لظروف تاريخية موضوعية مر بها المجتمع الأوروبي في القرن التاسع عشر إلا أنها بما تمخضت عنه من مبادئ جمالية أساسية قد أصبحت ذات صبغة عالمية شاملة، وهي بذلك تختلف جذريا عن غيرها من المذاهب الأدبية الكبرى .فالكلاسيكية مثلا قامت على أساس التأويل الأوروبي للمبادئ الفلسفية والفنية الإغريقية في مرحلة مجددة من تطور الفكر الغربي فقدت بمرورها مبررات وجودها، وأصبحت غير قابلة للاستزراع في تربة أخرى وكذلك الرومانتيكية التي لم تكن سوى تعبير عن حال تأزم المشكلة الفردية في ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية لأوروبا الغربية في القرن الماضي.

والرغبة في التحرر من القيود الكلاسيكية التي كانت قد أرهقتا روح الإبداع الفني بشروطها المتعسفة، وهي ظروف قد نجد لها مثيلا في سياق التطور التاريخي للشعوب

[1] فليب فان تغيم، المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، ترجمة فريد أنطونيوس، ص237.

الأخرى،إلا أنه يظل تشابها جزئيا ومرحليا لا يتجاوز السطح الملموس ولا يتعدى مجرد التقليد في التشخيص، وبهذا لا يبقى من الرومانتيكية سوى العدوى والمزاج. أما الواقعية فإنها إعتمادا على مبدئها الأساسي في الانعكاس الموضوعي، وتمثل الأدب للواقع أيا كان موقعه وزمانه فإنها تتجاوز جميع الحدود الإقليمية والتاريخية، ويصبح في مقدور أي مجتمع اختمرت فيه مبادئه الجمالية أن يرى نفسه في مرآتها بطريقة صافية ومركزة وتصبح المجتمعات التي مازال ضميرها القومي في مرحلة النضج والانبعاث والتي تقف مثلنا في مفترق الطرق تبحث عن جوهر شخصيتها وتستشرف الملامح العامة لمستقبلها وسط التيارات العاتية هي أحوج ما تكون لمواجهة النفس بشجاعة، ومعرفة الأمر الواقع بعمق، والوعي بالعوامل الفعالة لوجودها التاريخي المحدد ولن تجد مركبة تمحو بها العباب سوى مبادئ الواقعية .على أن أهم خصائص الواقعية في تصورنا هي قدرتها الفذة على التحول من المذهب إلى المنهج ،فلم تعد مجرد مجموعة من المبادئ المقررة التي مهما بلغت من العمق الموضوعي لا مفر من أن تكون نسبية مرتبطة بظروفها الخاصة، ولا بد أن يأتي اليوم الذي يفسح فيه الطريق لغيرها من المبادئ الجديدة وإنما أصبحت منهجا حرا في الإبداع الأدبي، لا يقيد من حريته التزامه الدائم بتجسيم الواقع، إذ أنه لا يفقد بذلك طواعيته ولا مرونة أساليبه، ولا قدرته على استبصار المستقبل ،فخيوط الواقع لا تتكون من الماضي فحسب الذي يسبق لحظة تاريخية محدودة ويصوغها بشكل خاص[1].وهناك خصائص أخرى للواقعية نجملها كما يلي:

1-النزول إلى الواقع الطبيعي والاجتماعي والإنطلاق منه:

أي إرتباط الإنسان في محيطه البيئي وتفاعله وصراعه مع المحيط الطبيعي والاجتماعي. من هنا يستمد الكاتب موضوعاته وحوادثه وأشخاصه وكل تفصيلاته .إنه ينزل إلى الأرض والبشر، ويصرف نظره عما عدا ذلك من المثاليات والخيالات، وما يهمه هو الأمور الواقعة التي يعيشها الإنسان المشخص الحي الذي يضطرب في سبيل الحياة

[1] صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة 1980،ط2، ص5.

والمعيشة والذي له وجود حقيقي .فمحور الأدب الواقعي ليس الإنسان المثالي العام المجرد الذي كان محور الأدب الكلاسيكي، ولا الإنسان المنعزل المنفرد الهارب من المجتمع الذي كان محور الأدب الرومانسي .إن إنسان الواقعية هو الفرد في تعامله وتفاعله ضمن تيار المجتمع والتاريخ المؤثر فيه والمتأثر به، الصانع والمصنوع في آن واحد[1].

وقد لمحنا فيما سبق إلى الدواعي التي سببت هذه النقلة الجوهرية.وقد يكون الفرد في المذهب الواقعي نموذج شاكلته، والمجتمع يتكون من نماذج كثيرة منها الإقطاعي والرأسمالي والعامل والفلاح والبرجوازي والتاجر والمرابي ورجل السلطة والمرأة الطيبة....الخ

وقد حرص كتاب الرواية والمسرحية الواقعيين على رسم هذه النماذج وخلقها لا من العدم والخيال بل من خلال الواقع.وقد عرفت الواقعية عن التعامل مع العالم الغيبي كالجن والأرواح والأشباح والملائكة والتشخيص والتجسد الأليغوري والأساطير والأحلام والمصادفات والخوارق.لأن هذه الأمور كلها لاتعنيها في شيء،والذي يعنيها الإنسان بلحمه ودمه وغرائزه ومشاعره وحاجاته وآلامه وأفراحه المرتبطة بالأرض وما يحيط به من الظروف الموضوعية ولهذا سمى "بلزاك" مجموعة رواياته المئة "الملهاة البشرية " في مقابل "الملهاة الإلهية" "لدانتي" .إن الواقعية تنطلق من جميع طبقات المجتمع وأصنافه، من أدنى الطبقات الفقيرة والمعذبة والمسحوقة إلى أعلى الطبقات النبيلة والثرية والمسيطرة.هنالك العمال والفلاحون والأجراء والمالكون والتجار والمرابون واللصوص والشحاذون والمحتالون والمجرمون والمنحرفون والسجناء والعواهر والسكيرون واليائسون ورجال السلطة والحاكمون والعلماء والفنانون والنساء والأطفال وذو العاهات....[2]هناك المجتمع بكامله، وبكل أعضائه وأجزائه ،إليه ينزل الكاتب وفي أرجائه يتجول، ومنه ينطلق، ولأجله يكتب لا لأجل فئة معينة يبتغي رضاها إن الشعب أصبح هو السيد المحترم وليس البلاط أو الحامي النبيل وقد أسهم في هذا الإنقلاب "الكوبرينكي" التطور الديمقراطي الذي أسفرت عنه الدراسات الاجتماعية والآداب

[1] عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى العرب مع ترجمات ونصوص لأبرز الأعلام، مرجع سابق، ص138.

والثورات، وما حمله من مبادئ الحرية والعدالة والأخوة والمساواة والديمقراطية .وقيمة الفرد ودوره في المجتمع الذي يناضل للتحرر من كل سلطان مستبد أو أي متحكم سابق سواء أكان متمثلا في السلطة الملكية أو الإمبراطورية أو السكينة، والإطار الإقطاعي والرأسمالي.....وقد ساعد على الإتجاه نحو الشعب انتشار الطباعة والصحافة على نطاق جماهيري واسع يستطيع الكاتب من خلاله الوصول مباشرة إلى كل القراء، ويقيس نجاحه بمقدار إقبالهم على قراءة نتاجه وتعاطفهم مع أطروحاته التي هي أطروحاتهم في الوقت نفسه.ولا بد من الإشارة إلى أمرين هما من لوازم الواقعية أولهما:

*العناية بالتفصيلات الدقيقة والثانوية حتى التافه مما يتعلق بوصف الملامح والأصوات والألبسة والألوان والحركات والأشياء ...إمعانا في تصوير الواقع وكأنه حاضر والثاني التركيز على الجوانب السلبية من المجتمع كالأخلاق الفاسدة والإستغلال والظلم والإجرام والإدمان ....حتى أنها قد دعيت بالمتشائمة، وفي الحقيقة لم يكن هذا ناشئا عن التشاؤم بقدر نشوئه عن الرغبة في الرصد والمعالجة .

إن أبرز مخازي ذلك المجتمع المصطخب يصدر غاية خفية وظاهرة في آن معا، فهي خفية لأن الكاتب لا يريد إيجاد الحل بنفسه ولكنه يصور الأمور تاركا القارئ يبحث عن الحل.وهي ظاهرة لأن من طبيعة المذهب الواقعي الاهتمام بمصير الإنسان والأخذ بيده إلى المستقبل أفضل...[1].

2- حيادية المؤلف:

وهي تعني العرض والتحليل وفق واقع الشخصية وطبيعة الأمور وبشكل موضوعي لا وفق معتقدات الكاتب ومواقفه السياسية أو الدينية أو الميزاجية أو الفكرية أو القيمية.الكاتب هنا شاهد أمين يدلي بشهادته حسب منطق الحوادث ومبدأ السببية والضرورة الحتمية وليس كما يهوى ويريد.وهذا لا يعني أنه غير مبال بما يجري حوله بل يعني أنه لا يريد أن يفرض رأيه وميوله على القارئ. وكما أسلفنا إن الأدب الواقعي ليس مجانيا ولا عابثا بل له غاية

[1] عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى العرب مع ترجمات ونصوص لأبرز الأعلام، ص139.

نبيلة غير مباشرة إذا تجرد منها سقط في الفراغ والتفاهة والعبث والخلب والخداع الذي يقصد منه تزجية الوقت والتسلية، وهذا النوع من الأدب هو أرخص الآداب وأدناها.

إن الكاتب الواقعي يبدو حياديا، ولكن براعته في أنه يقود القارئ إلى موقف بحسب القوانين السيكولوجية في المؤثرات وردود الفعل، فالقصة تغدو مؤثرا يستثير عفويا موقفا من القارئ نفسيا أو سلوكيا فالكاتب لا يأمر ولا ينهى ولكنه يضع القارئ مثلا في موقف رفض أو قرف ،فينتهي من تلقاء ذاته،ويثير إعجابه بأمر إيجابي فيقبل عليه ويخلق عنده نوعا من التعاطف مع النموذج البشري،فإذا به يحبه ويقدر فيه فضائله أو يكرهه ويمقت مخاربه.

إن الكاتب الواقعي لا يخاطب القارئ مباشرة بل من وراء حجاب يثير المشكلة وينسحب تاركا الحكم للقارئ بعيدا عن الخطابة والوعظ وأسلوب المحاضرة والتربية ....

وحين يعمد الكاتب إلى التقرير والهيمنة تهبط قيمة أدبه.إن من أهم مزايا الأدب الواقعي تحريض الفكر وشحذ الإرادة وتقوية الشخصية، وإشعار القارئ بأنه مسؤول عن مصيره ومصير مجتمعه ومشارك للكاتب في البحث عن الأسباب والدوافع وإيجاد الحلول[1].

3-التحليل: أي البحث عن العلل والأسباب والدوافع والنتائج، فلكل ظاهرة إجتماعية سبب، والظاهرة الاجتماعية كالظاهرة الطبيعية تخضع لمبدأ السببية. وللظواهر المتماثلة أسباب متماثلة، وإذا فهنالك قانون يختفي وراء الظواهر والأسباب. والأديب الواقعي لا يعرض الظاهرة أو المشكلة مجردة بل يبحث عن سببها ويوجه النظر إليه ليصل بالقارئ إلى القوانين المحركة للمجتمع التي تكون من إقتصادية أو دينية أو سياسية أو سلطوية....وبهذا يزداد وعي القارئ واستبصاره وقدرته على التحليل والتأمل والملاحظة والإستقراء، ويصبح مؤهلا لوعي الواقع وتفسيره وقادرا على تغييره. ولكن ...كيف؟ وأي اتجاه؟ هذا ما لا يقوله الكاتب؟[2]

4-الفنية الواقعية: قال بعض النقاد: "إن الواقعية علمية وليست جمالية" ولئن صح الشطر الأول من هذه المقولة فعلى الشطر الثاني اعتراض .إن النص الواقعي ليس كتابة لبحث

[1] عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبي لدى الغرب، مرجع سابق، ص140.

[2] المرجع نفسه ،ص140.

علمي أو تقرير صحفي إنه الأدب، والأدب فن وكل فن يبتغي الجمال ...أو يتفاوت الكتاب في درجات الفن، كما هو الأمر في بقية الفنون،بين الشعوذة والعبقرية ولا جدال في أن للواقعية جماليتها التي تتلخص خصائصها في مايلي:

1-فضل الواقعيون النثر على الشعر لأنه اللغة الطبيعية للناس أما الشعر فبالرومانسية أشبه ولها أنسب .فاختاروا جنسي الرواية والمسرحية، ونالت الرواية النصيب الأوفى من أدبهم لأنها تتيح مجالا واسعا ومرنا للوصف والإفاضة والتحليل وتستوعب أزمانا طويلة وتغطي أمكنة كثيرة وتتضمن شخصيات غير محدودة وأتت المسرحية في المقام الثاني ثم جاء الشعر في وقت متأخر مع المد الإشتراكي، وهذا لا يعني أن النثر الواقعي مجرد من عنصر الشعرية بصرف النظر عن الوزن والقافية[1].

وأتت المسرحية في مقام الثاني ثم جاء الشعر في وقت متأخر مع المد الإشتراكي، وهذا لا يعني أن النثر الواقعي مجرد من عنصر الشعرية بصرف النظر عن الوزن والقافية .لقد استفاد كتاب كثيرون من اللمسات الشعرية المستحبة ولا سيما في تصوير العواطف والتصوير الخيالي الفني كما فعل" بلزاك" الذي عرف كيف يستفيد من الرومانسية في إبائها فأكسب أسلوبه الحيوية والحرارة وبراعة الصورة وموسيقى العبارة، فأقبل الناس على كتاباته خلوا من الشاعرية إلا أنهم أعرضوا عنها لعدم إرضائها لديهم هذه الحاجة الفنية، وإذا قلنا الرواية والمسرحية فإننا نعني مقوماتهما وتقنياتهما الفنية من حيث المدخل والمقدمات والأبواب والفصول والمشاهد وبراعة القص والحوار وجمال السرد والحيوية والحبكة والتعقيد والمفاجأة والحركة والمماطلة بالحل والمعالجة غير المباشرة، والابتعاد عن الثرثرة والحشو وما إلى ذلك مما يطلب توافره في القصة والمسرح.أما الشعر فلا يسمى شعرا إلا بمقوماته المعهودة في عالم الأدب والنقد.اللغة المأنوسة الواضحة البعيدة عن التوعر والتكلف من جهة، وعن الإسفاف والإبتذال من جهة أخرى ،المراعية لقواعد اللغة مع شيء من المرونة والتسامح حين يتعلق الأمر بالطبقات الشعبية العادية البعيدة عن أجواء العلم والثقافة...

[1] عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبي لدى الغرب، مرجع سابق، ص141.

فآنذاك يجد الكاتب نفسه مضطرا لاستعمال مفرداتهم وتعبيراتهم الشائعة وأمثالهم وتسمياتهم الشعبية وطرائقهم في الحوار والمجاملة والمخاصمة .. وقد عد هذا من مقومات الواقع، وكان له تأثيره في إغناء اللغة الفصيحة وتطورها. الإبداع والخلق، أي تركيب عالم شبيه بالواقع وليس نسخة أمينة عنه...قد سبق الكلام في هذه الخاصية الفنية.البعد عن التقرير المباشر والخطابة والوعظ وتجنب الإكثار من التفصيلات والدقائق التافهة المركبة ولا سيما إذا كانت غير موظفة توظيفا جيدا[1].

2- التحليل والنفوذ وعدم التسطح والوصول إلى خفايا النفس والعلل والأسباب .

3- براعة الوصف والتصوير على المستويين الداخلي والخارجي ونقل القارئ إلى عوالم جذابة ممتعة مثيرة الدهشة وحب الإطلاع.

4- براعة النمذجة، أي رسم النماذج الإنسانية المختلفة.

5- الأوتار العاطفية في النفس الإنسانية مع إرضاء الحاجات الفكرية والخيالية وعدم الإكتفاء بالإثارة الحسية .

6- تلاحم الشكل والمضمون،بأن يكون الشكل الفني في النص الواقعي يرقى ويرتفع ويشهد لصاحبه بالعبقرية والبراعة وبها تتفاوت أقدار الأدباء.

7-المبالغة في التزام الواقع الطبيعي إلى درجة الإهتمام بالأمور القبيحة والوضعية، والمكاشفة الجنسية والألفاظ البذيئة بدعوى أن ذلك من تصوير الواقع الحقيقي تصويرا علميا.

8-التفائل والأمل واليقين بانتصار العلم والحب وسيادة الحرية والديمقراطية والعدل والأخوة والمساواة.

9-شخصية الأديب الواقعي ناقدة للواقع ومحاولة تغييره إلى الأفضل.

10-يجب أن يكون الأديب الواقعي واعيا بأحوال العصر وأن لا يتقيد بالعقل ولا يستسلم للعواطف والخيالات،وهذا لا يعني أنه يتخلى تماما عن الذاتية ويتحلى بالموضوعية[2].

---

[1] عبد الرزاق الأصفر ،المذاهب الأدبية لدى الغرب ، ص142.

[2] المرجع نفسه، ص143.

إذن:فالمذهب الواقعي متميز بتأثره بالفلسفات الاجتماعية والوضعية والتجريبية والمادية[1].

كما نجد أن: *شخصية الأديب الواقعي تكون دائما ناقدة للواقع ومحاولة تغييره إلى الأفضل.

*إعتمادها أكثر على القصة والمسرحية.

*يجب أن يكون الأديب الواقعي واعيا بأحوال العصر،لا ينقد الأديب الواقعي بالعقل ولا يستسلم للخيالات والعواطف،وهذا يعني أن الأديب الواقعي يتخلى تماما عن الذاتية ويتحلى بالموضوعية.

خامسا-اتجاهات الواقعية:

1- الواقعية الاشتراكية:

أهم من اعتنق هذا الإتجاه (سان سيمون) حيث يعمل لتوجيه الفن وجهة واقعية، وتدور فلسفته حول مصير الإنسان في علاقته بأخيه الإنسان ثم علاقته بالعالم، فهي تقتضي حتما إستقلال الإنسان لأخيه الإنسان، لأنها تنظر للإنسان

على أنه كائن اجتماعي متطور ولكي يتطور يجب أن يتحسن واقعه[2].

فهذه الواقعية ليست كالواقعية النقدية التي تصور المجتمع فقط بل تعتبر هادفة تحاول بناء المجتمع من جديد وتقدم البديل،فهم يعتبرون الفن للشعب ويجب أن يكون ممثلا عنه،فنجد على سبيل المثال (مكسيم غوركي) يصور لنا في إنتاجه الأدبي حدود هذه الواقعية وخاصة في مسرحيته(الأعداء) وروايته (الأم)[3].

ووضع "مكسيم غوركي" مصطلح الواقعية الإشتراكية ليميزه عن الاتجاهات الواقعية الأخرى، فالواقعية الإشتراكية حصيلة النظرة الماركسية للفن والأدب، كما هي حصيلة التجربة الأدبية المعاصرة لكاتب الإتحاد السوفياتي فيرى أنصارها أمثال "مايا شوفسكي" الشاعر

[1] فايز الترحيني، الأدب ومذاهبه، مرجع سابق، ص 89

[2] عيسى هلال، النقد الأدبي الحديث، ص312

[3] فايز الترحيني، الدراما ومذاهب الأدب ،ص 200

والمبدع الروسي أن الأدب مبني على الجانب المادي الاقتصادي في نشأته وميوله ونشاطه، وأنه يؤثر في المجتمع بوجه خاص ولذلك ينبغي توظيفه في خدمة المجتمع وفق الماركسيات الجديدة وتقوية هذه المفاهيم، وأن يهتم الأدب في آثاره ومؤلفاته بالطبقات الدنيا لا سيما طبقات العمال والفلاحين، وأن يصور الصراع الطبقي بينهم وبين الرأسماليين والبورجوازيين، وأن يجعلهم مصدر الشروع في الحياة ويكشف عيوبها وينتصر لطبقة العمال والفلاحين ويظهر ما فيها من جوانب الخير، ويتصورون أن ماركسيتهم سوف تحكم العالم وتحل تناقضاته، ويطالبون الأدباء أن يبثوا هذا التصور في الأعمال الأدبية[1].

نلاحظ أن هذه الواقعية سعت إلى إعطاء صور إيجابية لواقع المجتمع محاولة تحسين أوضاعه، فلا يمكن أن ننكر بأنها أعطت قيمة عالية للفرد، بحيث جعلته سيدا للواقع وبذلك ندرك أنها واقعية متفائلة.

2-الواقعية السحرية:Magic réalisme

شاع هذا المصطلح في الثمانيات من القرن بشيوع أعمال عدد من الكتاب في أمريكا اللاتينية، أمثال الأرجنتيني "خورجي لويس بورخيس"1899_1988م.والكولومبي "غارسيا ماركيز"1928م ،غير أن استعمال المصطلح يعود إلى أبعد من ذلك، ففي 1925م،إستعمله الألمان في مطلع القرن، ثم تواصل استعماله فيما بعد في حقل الفن التشكيلي بوجه خاص،وكان استعماله في ذلك الحقل للدلالة على نوع من الرسم القريب من السريالية، حيث تكون

الموضوعات المرسومة والأشياء قريبة في غرابتها من عوالم الحلم وما يخرج من العالم المألوف من رموز وأشكال.....

[1] نسيب النشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984م،دط ،ص323

ومن الكتاب الذين اشتهروا أيضا بتوظيف تقنية الواقعية السحرية: الإيطالية "إيطالواكلفينوا" 1923_1985م والألماني "غنترغراس"1927م والبريطاني الهندي الأصل "سلمان رشدي"1947م[1].

تقترب الواقعية السحرية من مصطلح العجائبي ،كون الواقعية السحرية كتقنية في الحكي تملك من الحوافز ما نجده في العجائبي، ذلك أن امتزاج الواقعي بالخيالي يحدث اضطرابا في الواقع،كما يضاف اليه أحداث سحرية التي تتموضع خارج الحقيقي فيضحى واقعا سحريا،يأخذ بلب القارئ حينا فيصدقه لأن اسطباغه بالواقعية يخرجه من عالم المستحيل إلى العالم العادي المألوف، وقد يقف القارئ حائرا غير مصدق لما يجري من أحداث لأن الصبغة السحرية تحول دون ذلك[2].

وهنا يمكن تقاربهما مع العجائبي في الحيرة والتردد والدهشة التي تصيب القارئ،ذلك أن القاص يرسم تفاصيله رسما موغلا في البساطة والألفة، مما يزيد من حدة الإصطدام بالغريب والمستحيل الحدوث ،حيث يحاوره ويتداخل معه[3].

_ ويعرف" تودوروف" الواقعية السحرية أنها (أدب يقبل وجود الواقع الطبيعي والعادي ليستطيع فيما بعد دحضها جميعا)[4].

فالواقعية السحرية تحيل إلى الكلام الغامض الذي يخرج عن المألوف ،بحيث يستعمله الروائي كأداة فنية ليثير الشخصية الشريرة إلى وحش أو قرد ممسوخ، إذن هي امتزاج الواقع بالخيال في العمل الفني القصصي بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر بسهولة، ويضع الكاتب أحداثه وشخوصه وزمانه في صورة خيالية يسهل إقناعها لدى القارئ والمتلقي،

[1] ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل النقد الأدبي، الناشر المركزي الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب،2005، ط4، ص 348.

[2] فايز الترحيني، الدراما ومذاهب الأدب، ص203.

[3] شعيب حليفي، شعرية الرواية الفنتاستيكية، المجلس الأعلى للثقافة ،مصر، ص57.

[4] المرجع نفسه ص 58.

والروائي من مادة أساسية وهي الواقع ،فيصوره من خلال نظرته الخاصة ويعبر عنه بطريقته فيضيف ويعدل بحيث يجعل القارئ مرغما على متابعة القصة حتى النهاية.

3- واقعية المحاكاة:

وهي أبسط مظاهر الواقعية وأكثرها سذاجة وتبدو فيها ظاهرة الإنعكاس أكثر وضوحا وعمومية، وبمعنى أدق فهي تعتمد على ظاهرة الأشياء فيها،ولأنها كمذهب أدبي بدأت الإهتمام بالثقافة اليومية عن طريق الملاحظة الدقيقة،فهي تعبير صادق عن الواقع الحي الملموس للمجتمع،فهي ترى جوانب الصورة على حقيقتها تعرض ما هو خير إلى جانب ما هو شر ،وهذا النوع من الواقعية تغلب عليه سذاجة في التصوير وسطحية في المنظور، ومع هذا فإن واقعية المحاكاة لا تغدو أن تكون صورا وضعية دقيقة شاملة،فهي لن تصل إلى درجة التصوير الفوتوغرافي، ومن ثمة فإن الوصف يخضع دائما لنوع الاختيار (اختيار الكاتب للشخصيات واختياره للحدث وللمكان والزمان) ثم اختياره للتفاصيل وتركيزه على جوانب دون غيرها، من منطلق أن أي كاتب لا يمكنه وصف كل شيء مهما كانت قدرته على الملاحظة[1].

4-الواقعية الطبيعية:

هي شكل من أشكال الواقعية،يلتصق بما هو مادي وملموس فقد عمل الواقعيون الطبيعيون على توثيق صلة الأدب بالحياة،فراحوا يصورون الواقع الاجتماعي بمختلف أبعاده واستعانوا بالعلوم التجريبية وأخذوا يطبقون نظرياتهم على أدبهم.

فالإنسان في نظر الواقعية الطبيعية حيوان تثيره غرائزه وحاجاته العضوية، ولذلك فإن سلوكه وفكره ومشاعره هي نتاج حتمية لبيئته العضوية،ويعد الروائي الفرنسي "إيميل زولا "رائدا لهذه الواقعية، فقد كتب قصته الشهيرة "الحيوان البشري" لتطبيق نظريات الطب في

[1] حلمي بدير، الاتجاه الواقعي في الرواية الحديثة في مصر ،دار الوفاء لدانيال للطباعة والنشر2002م، ط1، ص18-20.

الوراثة على أبطال القصة من أجل أن يثبت أن سلوك الإنسان ومشاعره وفكره نتيجة طبيعية[1].

5-الواقعية النقدية:

يعرف النقاد الواقعية النقدية بالواقعية الغربية، والتي لا تختلف كثيرا عن واقعية المحاكاة والسبب كما سبقت الاشارة يرجع إلى أن واقعية المحاكاة ليست في ذاتها مجرد تصوير فوتوغرافي أو انعكاس مرآوي لواقع الحياة، ولهذا يفضل النقاد

شمولية النظر للواقعية الغربية باعتبارهاحتمية تاريخية أدبية نتيجة للتغييرات، فهي تعتمد على حقائق موضوعية إلا أنها لا تقف عندها في ظاهرها، وإنما تتعمق في أسبابها وخفاياها محاولة الوصول إلى النقد الاجتماعي الذي يسير حركة الأحداث، والواقعية النقدية لأنها ذات بعد تشاؤمي فإنها لا تظهر إلا الجانب المعتم منها،وهو الجانب الذي يظهر الشر والقبح والتشاؤم باعتبار أنه السبب المباشر وراء الفقر والجهل والأمراض الاجتماعية[2].

أبرز من يحث لها "إميل زولا" الذي يؤكد على التجربة الأدبية من القصة والمسرح حيث يرى "ما على القصصي لا أن يعين لشخصياته بيئة معينة ووراثة معينة،وأن الأدب الواقعي هو الذي يصور الواقع الثابت ويشخص أمراض الجماعة[3]"

وهذه الواقعية غرضها الأول هو الانتقاد حيث تسعى إلى فضح الواقع، وكشف أسراره وخفاياه وإبراز مشاكله دون توجيب منها لحل معين فهي واقعية متشائمة، ترى المياه من خلال منظار أسود وقد ترك" بلزاك " في الأدب الواقعي نحو مائة وخمسين قصة أطلق عليها اسم "الكوميديا البشرية"، حيث صور فيها واقع المجتمع الفرنسي وحرص على إبراز السلبيات فيه، ولقد عبر عن هذا الفيلسوف الإنجليزي الواقعي "هويز" بقوله أن "الإنسان ذئب ضار"[4].

---

[1] نسيب النشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص323.

[2] حلمي بدير، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، ص18-20.

[3] فايز الترحيني، الدراما ومذاهب الأدب،ص197.

[4] المرجع نفسه، ص59.

ومن هنا نرى أن أصحاب هذه الواقعية يسعون لنقل هذه الحقائق كما هي في الحياة دون تغييرها أو إعطائها لمسة فنية جمالية، هذا الذي أدى إلى مهاجمتها لأن أدبهم أشبه بصورة فوتوغرافية مشتم،لا على الأعمال التطبيقية من وصف البشاعات والشذوذ، هذا يعني أنها قاصرة في تكوين رؤية فكرية إيجابية متماسكة ورؤية منهجية تلم بالواقع الاجتماعي إلماما شاملا.

سادسا–نشأة الرواية الواقعية وتطورها :

أ– عند الغرب:

إن الثورات السياسية والاجتماعية التي مرت بها القارة الأوربية أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر في تبلور مذاهب أدبية ونقدية جديدة، والواقعية أحد المذاهب الأدبية التي أفرزته هذه الثورات.

إن إسراف الرومانسية في الخيال ‹‹أدى بها إلى التراجع إذ سئم الناس التحويم في عالم الخيال،وأخذوا يتقون إلى عالم الحقيقة والواقع ،وحصل من جراء ذلك عدة انتقادات أدت الى نشوب معارك أدبية بين الرومانسيين والواقعيين،ولكن قبل أن تصل الرومانسية إلى نهايتها ،كانت بذور الواقعية تنمو وتنضج شيئا فشيئا في قلب الرومانسية ذاتها، دعا نقادها إلى إدخال المحسوس في الفن ،شعرا غنائيا كان أم مسرحية أم رواية[1].

ومثلما كانت الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية وراء نشوء الرومانسية وتطورها، تغيرت هذه الظروف لتطرح بديلا عن الرومانسية والواقعية، فتحقق طموح الجماهير في بروز أدب صادق يعبر عن واقعها ويمثلها أحسن تمثيل.

مع العلم أن ظروف تطور الواقعية تختلف من بلد إلى آخر في العالم، فنجاح الواقعية في روسيا يقابله فشلها في بعض البلدان العربية كمصر وسوريا ولبنان، بعدما سجلت حضورها بقوة في هذه البلدان،حتى أن مذهب الواقعية في الآداب الأوربية متشعب ومختلف، وبالتالي نجد أن الواقعية الفرنسية تختلف بخصائص تميزها عن الواقعية الروسية .

[1] أحمد ربيع، في تاريخ الأدب العري الحديث، ط2، دار الفكر عمان، الأردن1426هـ – 2006م، ص97.

وفي هذا السياق طرح "كارل ماركس" مفهوما جديدا للأيديولوجيا "تتروح عنده بين الوهم والمنهج الفكري أي بين كونها وهما إلى كونها منهجا فكريا منبثقا عن علاقات اجتماعية مختلفة، وبدأت الأيديولوجيا عند "ماركس" خدعة تتذرع بها إحدى الطبقات الاجتماعية لخداع الطبقات الأخرى، وهي بذلك تتخذ شكل ذريعة للتبرير بل مجرد وهم لا غير".[1]

لقد كانت فرنسا وإنجلترا وروسيا سابقة إلى اكتشاف المنهج الواقعي في الإبداع، ويبدوا أن الرواية في فرنسا ولدت وهي واقعية على يد كبار الأدباء من أمثال: فولبير، بلزاك، ستاندل، زولا...الخ واشتهر في إنجلترا بعض الروائيين الواقعيين "تشارلزدكيز"و "وترسكوت"، أما روسيا القيصرية فإبداعها طويل في هذا المجال، إذ أن جذور الرواية الواقعية تعود إلى القرن الثامن عشر ،وقد استطاع الروائيون الروس التجذر من الواقع الروسي والروح الروسية ،ليبدعوا بعض روائعهم الأدبية العالمية الخالدة، وقد خلد تاريخ الأدب أسماء عباقرة سموا بالإبداع إلى مرتبة لم يعرفها في السابق ونذكر منهم على سبيل المثال: غوغول، بوشكين، وتولستوي كاتب "رائعة الحرب والسلم" التي تعد من أشهر رواية في العالم.

وإذا كان" أرسطو" يعد منظر الآداب اليونانية، فإن منظر الواقعية هو دون منازع الأديب والناقد الفرنسي "شانفلوري" الذي أقر هذا المصطلح، وبلور هذا المذهب يقول فليب فانتغيم: "لم تجد الواقعية اسمها ومذهبها إلا مع "شانفلوري" الذي تعود كتاباته الأولى إلى سنة 1843(.....)[2].

ب-عند العرب:

ظهر المذهب الواقعي في الأدب العربي بأنواعه المختلفة،وما ساعد على ذلك هو التربة الثقافية الخصبة التي نشأ فيها، وكان للظروف التاريخية والاجتماعية دور في تطوره .

---

[1] إبراهيم عباس،الرواية المغاربية،"تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي"،ط1،دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،2005م ، ص 23.

[2] فليب فانتيغيم، المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، ص 240-241.

ذهب الناقد" محمد مصايف" أن بذور الواقعية وجدت في الأدب القديم، ويسميها "بالواقعية الأولى وذلك في بعض تطبيقاتها،عندما اهتمت بوصف حالة العرب في حلهم وترحالهم، وفي حروبهم فيما بينهم تارة وفيما بين الروم والفرس تارة أخرى".بيد أن الأدب السياسي في القديم يختلف عن الأدب السياسي اليوم، ومن ثم فهو ليس أدبا ملتزما، وإذا كان قد وصف الواقع العربي الذي كان يتمثل في العصر الجاهلي على الأقل في حروب العشائر والخلافات القبلية، فإن موقفه من هذه الحروب والخلافات لم يكن موقفا واضحا قائما على وعي أيديولوجي تام"[1].

وفي سياق آخر يؤكد "طه حسين" على توفر الواقعية في الأدب العربي القديم حيث يقول :"كان أدبنا العربي القديم واقعيا قريبا من الناس مشتقا من حياتهم حتى قال فيه القائلون من أهل العرب، أنه قليل الحظ من الخيال لأن أدباءنا من العرب القدماء لم يبتعدوا ولم يعيشوا في السماء،وإنما عاشوا في الأرض كما عاش فيها غيرهم من الناس، وأشد من هذا كله غرابة أن هذه الواقعية لم تقتصر على العرب، وإنما عرفها الأدباء من شعراء اليونان والرومان وخطبائهم"[2].

كما استفاد الأدب العربي من إنجازات الواقعية في مرحلة من مراحل تطوره،وإن ارتبطت على وجه الخصوص بفن الرواية ،وعمدت الواقعية على ربط الأدب العربي بالواقع ‹‹ فالمنهج الواقعي من أكثر المناهج ارتباطا بالعمل القصصي بصفة خاصة، ويرجع السبب في ذلك إلى الفن القصصي، الذي يعد أقرب الأشكال الأدبية إلى الواقع، وربما كان أهم ما يميز هذا المنهج قدرته على الصمود والبقاء في وجه التيارات الأدبية التي تظهر وتختفي في حين يزداد المنهج الواقعي رسوخا، كما أكدت الحقبة الطويلة التي ثبتت فيها دعائم هذا

[1] محمد مصايف، النقد العربي الحديث في المغرب العربي، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1979م، ص257.

[2] طه حسين، من أدبنا المعاصر،ط1، دار الآداب، بيروت، لبنان،1958م ،ص25.

المنهج مرونته وقدرته على استيعاب التطور الذي اعترى النمط القصصي خلال حقبة طويلة من الزمن››[1].

استطاعت الواقعية احتواء الفنون السردية العربية،فكان تطور الرواية في كنفها وغدت الرواية أخصب الفنون لتمثيل الواقع في المجتمع العربي والتعبير عنه في كنف الواقعية،مما توفره للكتاب من مساحات تعبيرية كبيرة تجدر الإشارة إلى أنه حدث خلاف في تحديد التاريخ الذي ظهرت فيه الرواية في الأدب العربي ،فيذهب محمد غنيمي هلال إلى أن هذا الإتجاه ظهر في منتصف هذا القرن (أي في الخمسينيات)، في حين يذهب أحمد أبوسعيد إلى أن هذا التجاه بدأ ظهوره في العراق عام 1948م، إثر خسارة العرب في فلسطين، وأما لويس عوض لا يبتعد كثيرا عن هذا التجديد ولكنه ينهي تاريخ المد الواقعي بمصر عام 1963م، ويحدد عمر الدقاق زمن بدء الواقعية في سورية بانهيار الدوحة الرومانسية في مطلع النصف الثاني من هذا القرن ،فكان للأحداث التاريخية وقعها الخاص في انتشار الواقعية في الأدب العربي،ذلك أنه في النصف الثاني من القرن الحالي ارتفعت في البلدان العربية صيحات مع الشعب في معاركه، تحث الأديب على حمل حظه من المسؤولية الاجتماعية والوطنية الإنسانية، وتبشر ب:‹‹الأدب للحياة›› ‹‹الالتزام في الأدب›› ،فأصبحت قضية الجماهير جزءا أساسيا من الإلتزام الأدبي [2].

ظهرت الواقعية في الأدب العربي في فترات زمنية متقاربة،ارتبط ظهورها بالثورات التاريخية التي شهدتها البلدان العربية وقيدت الواقعية الكاتب العربي بالدفاع عن قضايا مجتمعه، فأصبح الأدب رسالة إجتماعية.

صحيح أن الواقعية الإشتراكية أثبتت كفاءتها في الأدب العربي، إذا ما تعلق الأمر بالفنون السردية مثل: القصة القصيرة والرواية، ولكنها وقفت عاجزة أمام مسألة الدين، فنجدها تنادي بالقومية والعلمانية والاشتراكية ويتم تصعيد الأزمة بمطالبة بعض الأدباء العرب من

[1] نبيلة ابراهيم، نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب فجالة، مصر، ص 35.

[2] نسيب النشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي الحديث، ص 334-335.

ذوي التوجه الواقعي الإشتراكي بفصل الدين الإسلامي عن الدولة، وفي هذا السياق يذهب عبد الرحمن الكواكبي بقوله: "إن إدارة الدين وإدارة الملك لم تتحدا في الإسلام تماما إلا في عهود الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبد العزيز فقط ولا يوجد في الإسلامية نفوذ دين مطلقا في غير مسائل إقامة الدين فالكواكبي لا يعرف الدين إلا بمعنى العبادة والنسك"[1].

وهنا تتجلى هيمنة السياسة على الواقعية الاشتراكية، وهكذا يبتعد هذا المنهج عن الواقع، ويدخل في دواليب السياسة، فيصبح الأدب في خدمة السياسة بدل أن يكون في خدمة المجتمع كما يزعم أصحاب هذا الإتجاه.

ومهما يكن الأمر فإن الواقعية ترسخت كاتجاه أدبي ونقدي، ترك بصماته الخاصة في الأدب العربي ومازال صامدا في وجه المذاهب الغربية الجديدة التي غزت الأدب العربي حتى الآن، ومكنت الواقعية من توفير مساحات تعبير واسعة في الأدب العربي لكل هموم الشعوب العربية.

[1] مشري بن خليفة: القصيدة الحديثة في النقد العربي المعاصر، منشورات الاختلاف ،ط1،الجزائر،2006، ص 30.

الفصل الأول

النزعة الواقعية في الرواية.

أولا: واقعية الأحداث

ثانيا: واقعية الشخصيات

ثالثا: واقعية المكان وتجليات الدلالة الإيديولوجية في الرواية

أولا : واقعية الاحداث:

يعد الحدث في الرواية بمثابة العمود الفقري الذي تقوم عليه بنيتها، فالروائي ينتقي بعناية وباحترافية فنية للأحداث الواقعية أو الخيالية التي يشكل بها نصه الروائي، فهو يحذف ويضيف من مخزونه الثقافي، ومن خياله الفني، مما يجعل من الحدث الروائي شيئا مميزا مختلفا عن الوقائع في عالم الواقع[1].

والحدث أهم عنصر في القصة القصيرة « ففيه تنمو المواقف وتتحرك الشخصيات وهو الموضوع الذي تدور القصة القصيرة حوله، يعتني الحدث بتصوير الشخصية في أثناء عملها، ولا تتحقق وحدته إلا إذا أوفى بيان كيفية وقوعه والمكان والزمان والسبب الذي قام من أجله كما يتطلب من الكاتب اهتماما كبيرا بالفاعل والفعل لأن الحدث هو خلاصة هذين العنصرين » [2] .

ومن خلال رواية « لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة » نجد الروائي خالد خليفة يسعى إلى توثيق تاريخ مدينة حلب الحديث، التي تمثل نموذجا للمدن السورية والتي ظلت سجينة القيود المفروضة عليها سُلطويًا، ويرى خليفة: « أن أي مؤرخ يريد كتابة تاريخ مدينة حلب في العقود الخمسة الماضية، لن يستطيع تجاهل الخراب والعشوائيات والترييف والدمار الاجتماعي، إلا إذا أراد كتابة تاريخ مزوَّر » لذا فالروائي حاول تصوير بعض ملامح الواقع السوري، حيث كتب عن كل ما هو مسكوت عنه في حياتنا العربية والسورية خصوصًا، هي رواية عن الأسى والخوف والموت الإنساني والبطش والرغبات المقتولة .

تحكي الرواية عن تاريخ مدينة حلب الحديث، الذي يشكل انقلاب البعث سنة 1963 المنطلق نحو الماضي والمستقبل فيه، وكيف أسهم ذلك الانقلاب في تشويه معالم المدينة ونسف بناها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وخلّفا شروخًا عميقة بين الناس، الذين

[1] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1 ،سوريا، 1997، ص25.

[2] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2009 ، ص31.

انقسموا بين مؤيد خائف من السلطة ومعارض أُودِيَ به بالتقادم وتمت تصفيته، في مسعى لنسف أي نشاط أو إحياء لاحق مُحتمل، في الفصول الخمسة للرواية، لا يكتفي " خالد خليفة" النوازل التي حلت بالشعب، وكيف كانت البداية الخاطئة التي جَرّت خطايا لاحقة وسيرة المرأة المهجورة التي تتماهى مع سيرة الوطن المُرَّوع بالقمع، هي إحداثيات البدء التي يضعها "خالد خليفة" في الصفحات الأولى من روايته، إحداثيات تنمو وتتفرع في خمسة فصول، تصف مرايا الذلّ الذي تقاسمه السوريون على كافة المستويات طوال أربعة عقود من حكم البعثيين للبلاد يُخرجون الطلاب من قاعات الدروس، ويقودوهم في مناسبات الحزب بمسيرات تأييد، تنتهي بكتابة رسالة بالدم، وإرسالها إلى القائد المسترخي في قصره بعد إسكات أي صوت معارض وتدمير مدينة حماة، واعتقال عشرات الآلاف من الطلبة اليسريين والمتدينين»[1] .

« ... وفي استفتاء الرئاسة الجديد عام 2000 ... خرج الحزبيون مستعيدين سيرة عمرها أكثر من ثلاثين عامًا، نشروا الذُل نفسه في كل مكان من البلاد، أطباء ومحاميون وصحفيون وتجار ونواب وطُلاب جامعات ومدارس يجري إجبارهم على الرقص في دبكات وسط زعيق مكبرات صوت رديئة ...» .[2]

«تسعون بالمئة من السوريين عاشوا حياة موازية مع الحزب والنظام الذي حكم بكل هذا البطش ولم يلتقوا، انقسمت البلد إلى ضفتين، الضفة الأولى مرتزقة لا يعرفون الضفة الأخرى ... » [3].

فالروائي هنا نقل لنا سيرة العار بكل معاينة، التي بدأت بعسكرة المجتمع واغتصاب الحريات السياسية، وانتهت بخوف المواطنين وصمتهم المطبق، مرورًا بتسييد المخابرات على أجهزة الدولة ونهب الثروات، وإفساد الإدارة، وتراجع الأخلاق وتفشي الجريمة، عارٌ بكل

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطبخ هذه المدينة ، ص71 .

[2] المصدر نفسه ، ص232.

[3] المصدر نفسه ، ص116.

معانيه الذي بدأ يجتاح البلاد في انقلاب الثامن من آذار 1963، الموافق لميلاد سارد السيرة، والإبن الأصغر في عائلة الأم، شاهد عيان يعيش في قلب المعركة من أجل البقاء جُلّ غايته أن ينقل أخباره في صورة واقعية لمدينة حلب، بطبيعتها وناسها وتراثها وتاريخها طقوس عيشها ومثقفيها وحثالتها، حُلتها العثمانية ثم الفرنسية وصولاً إلى زيّها العسكري، الذي أتى بعشوائيات البأس والموالاة .

يبدأ بسيرة أمه ينتقل إلى أجداده، وأقاربه وإخوته وجيرانه، متطرقاً إلى كل ما هو مسكوت عنه في الحياة السورية والعربية من تفسخ أخلاقي وانحراف، وظاهرة المثلية، التي جسدتها شخصية نزار، معبرًا بذلك عن واقع المثليين في سوريا والمجتمع العربي الذي يرفض مثل هذه الظواهر بل ويتحفظ عنها: « تحدث بحرقة وألم عن تواطئهم جميعًا على تسليمه للشرطة وجسه ستة أشهر بتهمة اللِّواط بعد عرضه على طبيب شرعي ...» [1]

فالمثلية ظاهرة منبوذة ومرفوضة في المجتمع العربي تمس الشرف والدين والأخلاق .

حيث حمل خطاب الروائي الكثير من الإسقاطات الواقعية، خاصة في ظل الثورة المستمرة في حين أن إشارات ذلك كله كانت جمرًا متقدًا منذ عقود تحت رماد المجتمع الذي سُعي إلى تقييد حرياته والتنكيل به من طرف إرهاب السلطة .

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن أحداث الرواية هي أحداث تعكس الواقع الاجتماعي والسياسي لمدينة حلب كنموذج للمدن السورية الأخرى، منذ انقلاب البعث إلى يومنا هذا، حيث قدم الروائي أحداثه بصورة مشوقة تحفز على المتابعة والتأمل والتفكير، وتكوين موقف معين اتجاه الواقع وحوادثه، حيث انتخب مادته الروائية من الحوادث التي يحفل بها الواقع.

ثانيًا: واقعية الشخصيات :

2- 1) . مفهوم الشخصية :

أ) لغة: ورد مفهوم الشخصية من الناحية اللغوية في معظم المعاجم اللغوية العربية، منها ما جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (ش،خ، ص): شخص الشخص: جماعة

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة ، ص95.

شخص، الإنسان وغير ذلك، والجمع أشخاص وشخوص، وشخاص الشخص، سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات، فأستعير لها الشخص، وكلام متشاخص أي متفاوت » [1].

وورد أيضًا في قاموس (المحيط):"إرتفع عن الهدف: شخص بصورته، فلا يقدر على حفظه، شخص به معنى أتاه أمرًا أقلقه وازعجه"[2].

فلفظ (الشخص) إذن تطلق على كل ذات بغض النظر عن الجنس ذكر كان أم أنثى، وكل من رأَيْتَ شخصه.

ب) إصطلاحًا: تعتبر الشخصية ركنًا أساسيًا من أركان الرواية، وهي العنصر الفاعل الذي يساهم في الحدث، يؤثر فيه ويتأثر به، ودون الشخصية يفقد كل من المكان والزمان معناهما وقيمتهما، فالحوار هو حديث الشخصية، والشخصية تتحرك ضمن الفضائين الزماني والمكاني، فلها إذن حضور جمالي في العمل الروائي .

وكلمة "شخصية" مشتقة من الأصل اللاّتيني (personne)، وتعني القناع الذي يضعه الممثل على وجهه لتأدية الدور المسند إليه "حين يقوم بتمثيل دور أو كان يريد الظهور بمظهر معين أمام الناس... وهذا تكون الشخصية ما يظهر عليه الشخص من الوظائف المختلفة التي يقوم على مسرح الحياة "[3].

الشخصية إذن هي: مجموعة الصفات الظاهرة على المرء، والتي تميز كل شخص عن غيره من الأشخاص .

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ،ط4 ، 2005 م ، ج8، ص36.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ،ج2 ، 1999م ، ص469.

[3] سعيد رياض، الشخصية (أنواعها، أمراضها ، فن التعامل معه) مؤسسة إقرأ ، القاهرة ، ط1 ، ص11.

2-2) أهمية الشخصية في الرواية :

تعد الشخصية في الرواية من أهم الفواعل المكونة والمشكلة لعملية السّرد « ...فالشخصية عالم معقد شديد التركيب، إذ تتعدد بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها واختلافها من حدود » [1].

والشخصية داخل الرواية تكتسي هذه الأهمية : « إذ لا يمكن أن نُشَيِّدَ كونًا دلاليًا داخل نص سردي في غياب السند الذي يقوم عليه هذا الكون، وهذا السند هو الشخصية سوءًا كانت جِنًا أو إنسًا أو موضوعًا من الموضوعات » [2]، ويرى "عبد المالك مرتاض "بشأن أهميتها ودورها :"أنها قادرة على ما لا يقدر عليه أي عنصر آخر من المشكلات السردية ...إن قدرة الشخصية على تقمص الأدوار المختلفة التي يُحَمِّلها إياها الروائي يجعلها في وضع ممتاز حقًا » [3].

من هنا نستنتج أن الشخصية هي المحور الأساسي في الرواية، وهي مركز الأحداث والمحرك الرئيسي لها.

2- 3)، الشخصيات في الرواية وظاهرة صراع الأجيال:

أ) . تعريف الشخصية الرئيسية :

توصف الشخصية بأنها رئيسية من خلال الوظائف التي تسند إليها « تسند للبطل وظائف وأدوار لا تسند إلى الشخصيات الأخرى، وغالبًا ما تكون هذه الأدوار مثمنة (مفصلة) داخل الثقافة والمجتمع »[4]،حيث تحظى « بقدر من التميز يمنحها ظهورًا طاغيًا وتحظى بمكانة مرموقة » [5] أي أن الكاتب أولاها عناية كبرى وجعلها تتصدر قائمة الشخصيات الموجودة في العمل الروائي.

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة ، الكويت، 1998 ، ص73 .

[2] سعيد بن كراد، سيميولوجيا الشخصيات السردية ، دار مجدلاوي ،عمان، الأردن ،2003 ، ط1، ص39.

[3] المرجع السابق، ص79.

[4] محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم) ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط1 ، 2010 ، ص53.

[5] المرجع نفسه، ص56.

ب) تعريف الشخصية الثانوية :

تحمل أدوارًا قليلة في الرواية وأقل فاعلية إذا ما قارناها بالشخصية الرئيسية، " تكون إمَّا عوامل كشف عن الشخصية المركزية وتعديل سلوكها، وإمَّا متابعة لها، تدور في فُلكها أو تنطق باسمها، وتلقي الضوء عليها وتكشف أبعادها "[1].

فالشخصية الثانوية هي التي تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية وتساهم في نموها.

ومن هنا سنتحدث عن الشخصيات الرئيسية في الرواية ونتطرق من خلالها إلى ذكر أهم الشخصيات الثانوية، باعتبار أن دورها مقتصر على مساعدة الشخصيات الرئيسية وربط الأحداث كما ذكرنا سابقًا، متطرقين بذلك إلى الكشف عن مشكل صراع الأجيال في الرواية.

1) . الراوي: لقد إقترح (كلينث بركس) و(دوبيربين وارين) تصنيفًا للراوي اعتمادًا على موقع الراوي من عالم الرواية، ويمكن تقسيمه كما يلي :

1) راوي داخلي: ويمتاز هذا الراوي بحضوره في عالم الرواية ويمكن أن ينقسم بدوره إلى:

أ) الراوي البطل: الذي يسرد أحداث القصة بنفسه.

ب) الراوي المشارك: الذي ينفعل ويفعل في مجريات الأحداث بوصفه شخصية من الشخصيات .

ج) الراوي الخارجي: هو الذي يكون خارجًا عن نطاق القصة ويمكن أن يصنف إلى :

1) الراوي كلي العلم: وقد شاع استعماله في القص الكلاسيكي، وفيه تكون معرفة الراوي أكثر بكثير من شخصياته ويستطيع أن يدخل ذهن الشخصيات ولا تخفى عليه أسرارها .

2) الراوي المنحاز: هو شبيه بالراوي البطل، إذ يعرض الأحداث في ذهن البطل، إلاّ أنه يستعمل ضمير الغائب بدلاً من ضمير المتكلم.

[1] صُبْحية عودة زعرب، غسان كنفاني (جماليات السرد في الخطاب الروائي) دار مجدلاوي، الأردن ،ط1 ،1996م، ص132.

3) الراوي المراقب: يتميز بالحيادية التامة فهو لا ينقل إلا ما يراه ويسمعه من أفعال الشخصية وأقوالها [1].

والراوي في رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة "هو راوي عليم بكل شيء، شاهد عيان يعيش في قلب المعركة، يسرد قصص من عرفهم ويعلم أدق التفاصيل، جلُّ غايته أن يجمع أخبار المدينة في صورة واقعية، تولى سرد العمل كفرد من العائلة دون أن يسلط الكاتب الضوء عليه بإخفاءه تحت ضمير الغائب، وأحيانا يصبح راوي مشارك بوصفه شخصية من الشخصيات: يتحدث بضمير "الأنا "في حالة حديثة عن نفسه، يقول الراوي:« استقبلني معلمي الأول بترحاب بعد أن همس له المدير بكلمات قليلة، أجلسني في المقعد الأول قرب ولد صغير يشبهني، مددت يدي إليه وأصبحنا أصدقاء » [2]:فهو الإبن الثاني للأسرة الحلبية، ولد بأيام قبل انقلاب البعث سنة 1963م، لذا ترى أمه أنه نذير شؤم لولادة طفل في مثل هذه الظروف « اعتبرت الانقلاب ودعوة العسكر الى السلطة فألا شيئا لطفل ولد منذ أيام قليلة » [3] ، ولم نجد له حضورا بارزا في الرواية باستثناء حضوره كفرد يعيش حياة مضطربة من أسرته، يسرد أدق تفاصيلهم وخوفهم وتشتتهم وتوترهم الذي عم أرجاء المنزل، أما علاقته بالوطن فهو يحيا حياة موازية مع الحزب الذي صادر كل الحريات، فهو متذمر من حياته المليئة بالخراب والتشتت، يقول:« أراقب ضعفي ينمو ويجعل مني كائنا صامتا خائفا من دون أمل »[4].

إذن فالاستبداد جعل منه شخصا هامشيا، وهذا ما يبدو جليا حين تمر صفحات الرواية دون أن يتعرف القارئ، على اسمه، هو الآخر فقد ملامحة واقفا على العتبات باحثا عن ذاتهّ {{ لا رغبة ولا أحلام ولا مستقبل ولا ماضي ... أقنعت نفسي أن العيش في الحاضر

[1] رهف المشاعر، نوع الرواية ودوره في الرواية الحديثة ، www.hmst70b.net

[2] خالد خليفة ،لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة ،ص16.

[3] المصدر نفسه، ص25.

[4] المصدر نفسه، ص237.

ينقذ إنسانا مثلي دون أمل، أخاف تدمير عالمي .. » .[1] فقد فضل الصمت على المعاتبة وكشف كل الأوراق .

2) **شخصية الأم:** هي أم الراوي، المرأة التي هجرها زوجها "زهير" العامل في محطة السكك الحديدية مع عجوز أمريكية تدعى "إيلينا "، أملا في الخروج من حياة الفقر إلى الثراء، ترك لها مسؤولية أبنائهما الأربعة، ترفض الإمتثال لأوامر الحزب ما جعلها تدفع الثمن مثل كل مواطن حلبي، فلا تستطيع أن تمشي بحرية ولا أن تعبر عن رأيها كذلك، وكونها إمرأة مهجورة هي دائمة الخوف وعدم الإتصال بالآخرين }} بصفتها إمرأة مهجورة يشتهيها كل الرجال ...[2] » ،فعلاقتها بمجتمعها هي علاقة مضطربة لأنها دائمة الخوف من نظرات المجتمع التي لا ترحم نساءًا مثلها

وعلاقتها بوطنها متوترة، كونها تمثل فردًا من أفراد الوطن السوري المعارض للحكم فمواقفها غلب عليها الرفض والتذمر ،فبدت قلقة متعزلة ومعادية لكل من حولها وكبرياؤها وتباهيها أمام رفيقاتها جعلها تطمس أمومتها وتخجل بإبنتها (سعاد) كونها طفلة معاقة « تخفي سعاد عن زميلاتها اللواتي يتبادلن الدعوات بشكل دوري» [3]

فكبرياؤها جعلها تتمنى موتها، وهذا ما حصل فعلا .

فعقلها كان رافضا للواقع، فقررت الإنطواء على ذاتها لتجسد بعدها موتا بطيئا بسبب تشكيها الدائم من نقص الأوكسجين .

فشخصية الأم في الرواية تعكس واقع المرأة السورية المهجورة من طرف زوجها، وما آلت إليه من عزلة ومنفى وغربة وطمع في مجتمعها، فهي ناقمة على زوجها وحياتها وتاريخها وأبنائها .

[1] خالد خليفة ،لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة ،ص238.

[2] المصدر نفسه، ص16.

[3] المصدر نفسه، ص37.

3) **سوسن:** شخصية رئيسية في الرواية، وهي البنت الثالثة للعائلة كانت في ريعان شبابها فتاة طموحة مرحة ،« بمرح تمد سوسن رأسها من نافذة القطار، يتطاير شعرها الأسود في الهواء، تفتح كفها محاولة الإمساك بالطريق ...[1] » .

لكن سرعان ما تلاشى طموحها، وأصبحت تعيش تقلبات نفسية حادة نتيجة للأوضاع السياسية والاجتماعية، حيث بدأت تفقد عفتها وأنوثتها، بسبب الصدمات لاسيما الأوضاع التي كانت تصدر من جارهم الرفيق فواز "تقول بيأس :سأرحل إلى أي مكان، لم تعد تحتمل سماع صوت إخوة فواز ينشدون الأغاني الممجدة للحزب والقائد طوال الليل...[2] » ، فقررت الإلتحاق بصفوف الحزب، إحتماءًا من السلطة هروبا إليها ورغم تيقنها أنه ليس بالأمر الصائب أقنعت نفسها أن الحزب يدافع عن البلاد لتحظى بحياة هنيئة، وحتى تتزوج من "منذر " لكنه هجرها في آخر المطاف، فحاولت تطهير نفسها من الشوائب والتوبة والتخلص من ماضيها الأسود إلا أنها لم تستطع ذلك، وحملت في آخر المطاف من "جان عبد المسيح": حبها القديم ومدرس اللغة الفرنسية، الذي تربى في سويسرا تربية غريبة، ولهذا لم يستطع التأقلم مع الأوضاع السياسية السائدة في سوريا، ورفض الرضوخ لأوامر الحزب، حتى انتهى به المطاف إلى الطرد من التعليم .

4) شخصية نزار: هو الأخ الأصغر للأم ،كان عازفا موهوبا وصل إلى العالمية إلا أن مثليته جعلته منبوذا لدى أفراد عائلته، عدا أخته الصغرى، كان أخواه الكبيران "عبد المنعم" الذي يهتم بشؤون المنزل، و"إبتهال "المتسلطة والمولعة بتقاليد الحياة العثمانية يطالبان أباه بقتله للتخلص من عاره، حيث اتهموه باللواط وزجوا به في السجن ستة أشهر، أين جرى استغلاله من طرف "الشيخ جمعة "أحد المساجين وإمام صلاة الجمعة « ... في يوم التالي أخبره الشيخ جمعة إمام صلاة الجمعة على تنظيف أرضية المهجع، وفي الليل قاده إلى

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 35.

[2] المصدر نفسه، ص42.

المرحاض، اغتصبه بالقوة» [1] ،وبعد خروجه من السجن عاش حياة جديدة في بيروت محاولا التخلص من ذكرياته الأليمة« وشتم حلب التي وصفها بقلعة الندم» [2].

ويلاحظ على شخصية "نزار "توتر وكره لوطنه، بسبب المعاملات السيئة التي كان يتلاقاها من الأهل والمجتمع ،كما لا نجد له تضارب مع الحزب ولم يتأثر بالوضع السائد في البلاد إلا أن هذه الشخصية صورت لنا قضية من القضايا المسكوت عنها في الوطن العربي وهي قضية الشذوذ الجنسي، باعتبارها قضية أخلاقية تمس بالشرف والدين وهي شخصية واقعية تعكس صورة الآلاف من المثليين، وأضاءت لنا على العديد من الزوايا المظلمة من حياة هؤلاء .

5) رشيد: هو الإبن الأصغر في العائلة، تعلم على يد خاله نزار عزف الكمان حتى أصبح عازفا مشهورا، هو الآخر كان ناقما على حياته، يعيش وحدة قاتلة لا تتركه يعيش بسلام كان يرغب في الموت بسبب عيشه عيشة الجبناء « يفكر بوحدته يتساءل كيف يتحمل الناس كل هذا الضجيج، كل هذه المجاملات والنفاق ... » [3] ،هكذا حتى راودته فكرة أن خلاصة يكون بالتحاقه بالأصوليين الذين يدافعون عن شرف الوطن العربي، وغادر إلى بغداد متحمسا للقتال« شعر بأن خلاص جسده النحيل يكمن في قبر مظلم مضيفا أن الموتى لا يحتاجون أي شيء، ولا يخافون من الرئيس وفروع المخابرات [4] »، ولم يحظ رشيد بالموت ،لكنه حظي بالسجن وحاول جاهدا الخروج من السجن بتغيير اسمه إلى "جان عبد المسيح " وأطلق سراحه لكنه بقي مهووسا بالخلاص، هنا انتهت حياة رشيد الذي حاول في العديد من المرات الخلاص من حياته، ولم يتحقق ذلك إلا حينما أنهاها بانتحاره شنقا فجر يوم من الأيام .

---

[1] خالد خليفة ،لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة ،ص95.

[2] المصدر نفسه، ص102.

[3] المصدر نفسه، ص178.

[4] المصدر نفسه، ص214.

. الملاحظ في شخصية رشيد أنه أكثر الشخصيات فشلا في إجاد نفينها وسط تلك المآسي التي تحاصر الوطن، فالموت بالنسبة له هو حياة جديدة تمنحه وجوده الذي فقده

ج/ مشكلة صراع الأجيال في الرواية :

صراع الأجيال هو الإختلاف في الرأي بين الجيلين الشباب والكبار واضطراب العلاقة بين الآباء والأبناء وتأزمها [1]، والعنصر الأساسي الذي يميز جيلا عن آخر هو الثقافة أي وجود نظرة أخرى إلى العالم والمجتمع والحياة وهذه هي التي تحدد هوية كل جيل وتميزه عن السابق، وقد اتخذ صراع الأجيال أبعادًا وأشكالاً متعددة :فكرية وثقافية وسياسية ودينية واجتماعية ...إلخ، فالصراع الفكري يتمثل في الأفكار الجديدة التي يحملها جيل الشباب: كالدعوة إلى الحداثة وتجاوز الموروث والإنسلاخ من الثقافة العربية والإسلامية...[2] أما الصراع السلوكي: فهو ظهور الجيل الجديد بملابس لا تمت إلى ما اعتاد المجتمع أن يلبسه ...إلخ

وفي رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة " لمسنا مشكلة صراع الأجيال وصراع الأفكار باعتباره موضوعا دائما هاما في كل الأوقات، فالروائي وفق في اختياره لشخوص روايته لاسيما أفراد عائلة الراوي التي يحمل أفرادها جميع التناقضات مما يجعلهم مؤلهين لتمثيل جميع الاتجاهات والتناقضات .

حيث جسدت لنا شخصية سوسن فئة النساء السوريات المؤمنات بالحرية إلى أبعد الحدود، وهي لذلك تذهب ضحية هذه الحرية بالذات، فسوسن بمثابة حلقة وصل بين جيلين مختلفين في ثقافتها وأفكارها، جيل متمرد، وجيل محافظ بأفكاره .

فهذه الفتاة ذات الأحلام الكثيرة، ثارت على طبيعة أخلاقيات المجتمع السوري المحافظ وعلى وضع المرأة واندفعت إلى البحث عن عالم الحرية كما تفهمه هي لاكما يجب أن

[1] الشباب والتنمية، رؤية تنموية لمناصرة حقوق الشباب المغربي والعربي ،طنجة ،المغرب ،ط 1،2007م، ص91.

[2] لويس غارديه ، أثر الإسلام في العقلية العربية ،تر: خليل أحمد مطران، دار الفكر ،ط1 ،1992م، ص340.

يكون، فعالم الحرية لديها يتمثل في الشرب والتدخين وممارسة الجنس أي حرية المرأة بلا حدود .

ونفس الشخصية "سوسن" جعلها الكاتب تجسد في زمن آخر من الرواية شخصية المرأة المحافظة والملتزمة بقواعد الدين الإسلامي، وذلك بعد توبتها واحتشامها وارتدائها للحجاب ...إلخ، فقد عاشت صراعا فكريا لجيل واحد .

كما جسد لنا الروائي من خلال روايته صراعا سلوكيا من خلال عائلة الأم "فنزار " المثلي يعيش في صراع دائم مع والده وأخواه الكبيران عبد المنعم وابتهال اللذان يمثلان الثقافة القديمة، معتبرين مثليته عارا يمس بشرف العائلة ويتهمانه بعدم إحترام القيم ولا العادات ولا الدين، بينما تقف أخته الصغرى وأبناءها (سوسن، الراوي ورشيد) إلى جانبه، يستمعون إلى مغامراته مع عالم المثلية دون انتقاد أو رفض، ودون تزمت أو تشدد، ما يبين الصراع الفكري بين أفراد العائلة الواحدة حول موضوع مثير للجدل مثل الشذوذ الجنسي .

. و"جان عبد المسيح" بدوره عاش صراعا فكريا، حيث نشأ تنشئة غربية في سويسرا ،تحترم الحريات الفكرية والديمقراطية وتحترم حقوق الفرد، وعودته لوطنه "سوريا "جعله يعيش صدمة وصراع داخلي، كما عايشه من طمس لأبسط حقوق الفرد ألا وهي حرية الرأي وما كانت تمارسه السلطة من اضطهاد وتعسف ومصادرة للحريات وانعدام مظاهر الديمقراطية، هذا الصراع جعل "جان "يفكر في الإنتحار وألف كتابا بعنوان "عن العار ومشتقاته في الحياة السورية "[1].

ونستخلص مما سبق أن شخصيات الرواية هي رمز كاشف للعار بكل معانيه والذي لحق بعض فئات المجتمع السوري التي لم تعد تحافظ على شرفها وكرامتها وهمتها، لم تعد تمتلك الشراسة، تنظر إلى خيراتها تنهب وتبقى مكتوفة الأيدي، لم يبقى لها سوى العار والخوف، فشخصيات الرواية عكست لنا واقع سوريا المرير من فترة انقلاب البعث إلى يومنا

[1] خالد خليفة ،لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة ،ص238.

هذا، وما عاشته ولاتزال تعايشه من صراع سياسي وثقافي واجتماعي وتوحي بكل أركان الأزمة السورية.

ثالثًا: واقعية المكان وتجليات الدلالة الإيديولوجية في الرواية :

1. 3) مفهوم المكان :

أ) **. لغة:** جاء في لسان العرب أن « المكان والمكانة واحد،... والمكان هو الموضع والجمع أمكنةً، وأماكن جمع الجمع، قال تغلب: يبطل أن يكون مكانا فعالاً لأن العرب تقول :كن مكانك، وقم مكانك، وأقعد مكانك، فقد دلّ هذا على أنه مصدر من كان أو وضع منه» [1] ، وقد تناول القرآن الكريم كلمة "المكان": فنجده في قوله تعالى:﴿ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ [2] .

وهي بمعنى الموضع.

كما نجده في قوله تعالى في سورة مريم:﴿ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ۝٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ۝٢٣﴾ [3] .

ب) **. إصطلاحا:** يُعدُّ مصطلح المكان من المكونات الأساسية للسرد، وليس عنصرّا زائدًا في الرواية، إذ يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود الرواية أو العمل الفني جميعًا، فهو "الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية "[4]، والمجال الذي تسير فيه الأحداث من تحولات على مستوى الشخصيات من أفعال وأقوال .

[1] ابن منظور، لسان العرب ،م7، ص113.

[2] سورة الزمر، الآية 39.

[3] سورة مريم، الآية 22،23.

[4] سيزا قاسم، بناء الرواية(دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)،سلسلة إبداع المرأة،2004 ،ص74.

وكذلك فإن المكان في الرواية ليس هو المكان الطبيعي، فالنص يخلق عن طريق الكلمات مكانًا خياليًا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة .[1]

كمَا يعد المكان الأرضية المناسبة والخصبة للشخصيات والأحداث، فهو "عنصر حي فاعل في هذه الأحداث، وفي هذه الشخصيات، إنه حدث وجزء من الشخصية " وأيضا "هو الذي يؤسس الحكي في معظم الأحيان لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة".[2]

3-2) أهمية المكان :

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية أو لأنه المكان الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات فحسب، بل لأن المكان يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى الفضاء الذي يحتوي كل العناصر الروائية، وبهذه الحالة لا يكون كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون الفضاء الذي تصنعه اللوحة، وبهذا: "فالمكان يكتسب أهمية من خلال معايشة البطل للأمكنة التي تمد له بالصلة، سواءًا من قريب أو من بعيد، فيكون المكان هو اللوحة النفسية التي عاشها وعايشها البطل".[3]

والمكان ليس عنصرًا زائدًا في الرواية بل يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل الروائي كله، إذ تحركه لغة الكاتب ومخيلة المتلقي، ويتفق معظم النقاد على أن المكان بالنسبة للعناصر الأخرى هو النقطة الأساسية لكل الأبعاد التي يجمع بينها الكاتب، فهو الشخصية الأساسية والمتماسكة في الرواية إلى الحدّ الذي دفع "بغالب هلسا" إلى الجزم بأن العمل الأدبي حيث يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته.[4]

---

[1] حميد الحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر بيروت،1991م، ص53.

[2] المرجع نفسه ،ص65.

[3] أحمد زياد محبك، مُتْعة الرواية :دراسة نقدية منوعة ،دار المعارف ،بيروت ،لبنان، د.ط، د.ت، ص55.

[4] غاستون باشلار، جماليات المكان ،تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،لبنان ،ط2005، ص6.

وقد ذكر "حميد الحميداني " بأن المكان هو الذي يؤسس الحكي [1]،ولعلَّ أبرز وظيفة له في النص الروائي هي "الوظيفة التفسيرية"[2].

فقد ينفذ الروائي من خلال الصور السردية والوصفية إلى الحياة البشرية وقد يعكس المكان نفسية الشخصيات ويكشف هويتها وأنماطها، كما يقف شاهدًا على عمق الانتماء، ويتجاوز المكان وظيفته الأولية المحددة بوَصْفِه مكانًا لوقوع الأحداث إلى فضاء يتسع إلى بنية الرواية.

3-3- الأماكن المفتوحة والمغلقة ودلالتها في الرواية:

يمكننا القول بأن المكان الذي نحن بصدد دراسته في الرواية متعدد ومتنوع والرواية مكتنزة بأنواع الأماكن المعترضة بطريقة فنية خارقة، تجاوزت السرد التقليدي في مجرد عرض الأمكنة، ففكرة الانفتاح والانغلاق التي نحن بصدد دراستها هي مسألة نسبية تحتكم إلى زاوية نظر، قد أرى الأماكن مثل « المنزل والسجن » أماكن مغلقة ويأتي غيري ويرى فيها أماكن مفتوحة، وخير دليل على ذلك قوله عزوجل على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: « قال ربّ السجن أحب إليَّ ممَّا يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصْبُ إليهنّ وأَكُنُ من الجاهلين » هذا يعني أن تعريف الانفتاح والانغلاق يبقى نسبي لأنه قد يكون معنى الإنغلاق هو الإنفتاح بمعناه السلبي أو العكس أي قد يكون المعنى الإنفتاح والإنغلاق بمعناه السلبي، وهذا ما سنشهده في الرواية التي بين أيدينا حيث،

تنقسم الأمكنة في الرواية إلى: أمكنة مفتوحة وأخرى مغلقة، ويمكن رصد أهمها عن طريق حصر الأمكنة التي كانت مركز وبؤرة الحدث وهي على النحو التالي:

أ) **الأمكنة المفتوحة:** هي " الحيز المكاني الخارجي الذي لا تحدده حدود ضيقة، يشكل فضاءًا رحبًا وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق "[3]، ونقصد أيضًا بالمكان

[1] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي،ص65.

[2] المرجع نفسه، ص37.

[3] أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة) دار الأمل للطباعة والنشر، د.ط،2007،ص51.

المفتوح: الحيز المكاني الذي احتضن نوعيات مختلفة من البشر، وأشكال متنوعة من أحداث الرواية، وغالبًا ما تكون دلالة المكان المفتوح مرتبطة بالسعادة والحرية والإستقرار.

1). شوارع حلب: يعتبر الشارع من أماكن « الإنتقال والمرور النموذجية، فهي التي ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحًا لغدوها ورواجها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها[1]» ،هذا يعني أن الشوارع تعد من الأماكن التي تمر عليها الشخصيات أثناء ذهابها إلى عملها أو قضاء حاجياتها اليومية.

وفي الرواية تمثل شوارع حلب الأمكنة التي ينتشر فيها الحزبيون لفرض سيطرتهم على الشعب، وفي حال عدم الإمتثال إلى سلطتهم يتم ضربهم وسجنهم وحتى تجريدهم من ملابسهم أمام الخلق، كما حدث " لهبة" التي جردتها الحزبيات من ملابسها وسط الشارع بعدم رفضها الولاء للحزب وتقبيل العلم ووضعه على جبينها شاكرة [2]، والشيء نفسه بالنسبة "لجان عبد المسيح" الذي تم جره للتحقيق أكثر من مرة لعدم ترديده لنشيد الحزب« لم يعد يحتمل الشوارع القذرة ومسيرات الحزبيين، فقرر البقاء في المنزل مع أمه العمياء، بدل الخروج إلى الشارع وسماع الجبناء يرددون الأناشيد...» [3] ، فشوارع حلب أصبحت موحشة بسبب ضغوطات الحزب على الشعب، حيث يقول الراوي: « شوارع الجميلية تغيرت أيضًا، بيوت مهجورة، بنايات جديدة بنيت على عجل، فقدت الشوارع الضيقة، أشجار الكينا التي كانت رائحتها تزكم أنوفنا» [4] .

. هذه المواصفات تدل على الحزن والمأساة اللذان ألمَّا بشوارع حلب، إذن فالشوارع الحلبية هي مكان جسد واقع المدينة الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، فصور لنا الروائي من خلالها الخراب والدمار اللذان لحقا بالمدينة.

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،بيروت، ط 1 ،1990م، ص79.

[2] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص116. 128.

[3] المصدر نفسه، ص56،57.

[4] المصدر نفسه،ص120.

2/ محطة السكك الحديدية في ميدان أكبس: هي محطة موجودة في ميدان أكبس القريبة من قرية العنابية، وهي المكان الذي كان يعمل فيه والد الراوي "زهير" موظفًا بعد تخرجه من معهد الهندسة الكهربائية، وهو المكان الذي جمع بينه وبين زوجته من خلال حضورهما حفلة تكريم لعمال المؤسسة التي كان والدها من ضمنهم، وكان الأب "زهير" يعمل هناك [1]، أي المحطة تعد مكان لقائهما لأول مرة، كما حظيت المحطة باهتمام الجد "جلال النابليسي" الذي تعلق بها إلى درجة نسيان واجباته اتجاه زوجته، ومنزله، وصديقه كذلك المسيو "هنري سوردان"، هو كذلك من محبي هذه المحطة، نجد ذلك في قول الراوي « إكمال واجب يجب أن يتم بسرعة وبدون جَلبة ليعود، مرة أخرى إلى عمله مع المسيو هنري سوردان[2] » ، ومن كثرة تعلق الجد بالمحطة مات تحت عجلات أحد قطاراتها وبالمقابل كانت المحطة تمثل مكانا مشؤوما بالنسبة للأب" زهير" حيث يقول الراوي: « يشتم الله كعادته لرميه في محطة مهجورة تنبثق منها رائحة الجيف وغباء موظفي السكك الحديدية... » [3]حيث كان يحلم بحياة الثراء والمحطة هي مكان للفقراء .

إن وجود المحطة في الرواية ليس مجرد إشارة إلى مكان بعينه، بل إن وجودها داخل الرواية يعطيها بعدًا دلاليًا أعمق، حيث تعد مكانًا لتصادم قيم الريف مع قيم المدينة، وهي المعبر الذي من خلاله تتحقق الأحلام أو تنكسر، فهي مكان مفتوح على عالم جديد وأناس جدد جاؤوا من كل مكان وهي أول خطوة للإنتقال من المكان المرفوض، لهذا فتوظيف الروائي للمحطة في روايته هو تعبير عن الرغبة في التغيير والتخلص من الواقع المعاش في ذلك المكان .

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص35.

[2] المصدر نفسه، ص88.

[3] المصدر نفسه ، ص20.

3/ مدينة حلب :

إرتطبت المدينة بأهم الاحداث التي ميزت المتن الروائي، لذلك فالروائي لا يرى في المدينة إلا ذلك المكان الحزين الذي استولى عليه أناس ليسوا غرباء عنه، بل هم أبناء المدينة العاقين الذين تنكروا لها ولأمومتها وحقها عليهم، فغدت المدينة وسوريا ككل، كالأم الثكلى التي تنعي أبناءها الذين فقدتهم، فمدينة "حلب" غرقت تحت أرجل رجال السلطة الذين عمموا الفساد والرعب في أرجائها وفقدت بريقها كما قال الراوي على لسان "رشيد":« الليل وقت وحيد لرؤية مدينة يحبها هكذا مهجورة، صامتة، مظلمة لا يرى لافتات الولاء الأبدي للحزب والرئيس» [1] فالمدينة لا تحظى بالهدوء إلا ليلًا، حيث يسكن الحزب.

. لم يكن اهتمام الراوي في إبراز المظاهر العمرانية والسكنية للمدينة أكثر من إهتمامه بما يجري فيها من عنف واغتيالات، وكيف تحولت من مجرد شكل هندسي إلى بناء فني يحمل رؤى فكرية وإيديولوجية، ومدينة تحمل صورًا مأساوية انقلبت جحيما وألما « تجول فيها الغرباء اقتسمها ضباط مخابرات ومسؤولون موالون » [2]إننا أمام مشهد خراب هذه المدينة التي تحولت إلى بؤرة للتوتر وفضاء يفوح برائحة الأزمة المتشربة والتي شوهت المكان وحولته إلى كتلة رماد، وجعلت سكانها دائمي الخوف والاضطراب، إنه إحساس نشأ عنه رفض للواقع ونشاز بين الإنسان والفضاء المكاني ،كيف لا وقد أصبحت "حلب " أداة للتعبير عن السواد والعنف والفزع، لقد تحولت على مجرد جسد مريض بلا روح.

. فحلب مكان مفتوح، نقل لنا الكاتب من خلاله واقع الفساد والسفالة ودلالة العنف.

4/ السوق: هو المكان الذي يجمع بين المشتريين والباعة، وهو أيضا مكان مفتوح يلتقي فيه الأشخاص من مختلف الأعمار والفئات، إذ « تختلف بنيته الهندسية والعمرانية تبعًا للمكان الواقع فيه، سواءًا كان قرية أو مدينة، وهو ليس مكان للتطبع فحسب وإنما للقاء والحوار

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص120.

[2] المصدر نفسه، ص72.

الاجتماعي المتبادل» [1] ومن هنا يمكن أن تتحول وظيفته المعروفة (البيع والشراء) إلى مكان لتبادل الحوار بين الأشخاص، ولم يذكر هذا المكان للرواية كثيرًا تجلب أثناء ذهاب الأم مع رفيقتها "ناريمان" إلى سوق المدينة، تبحث عن أواني رخيصة تساوم على سعرها لتزين منزلها الجديد يقول الراوي:« إشترت من سوق الأحد أسرة نحاسية مستعملة طراز فرنسي كلاسيكي، أصلحت قوامها ولمعت زخارف نحاسية وزرعتها في غرف نومنا، واحتفظت بالسرير الكبير لغرفتها »[2].

وفي الرواية لم تلمس حضور كبير للسوق إلا مرة واحدة، وهو مكان يعبر عن الطبقة الكادحة والفقيرة في المجتمع ومكان للالتقاء الخطابات الاجتماعية والسياسية، وعدم حضور مثل هذا المكان في الرواية بشكل مكثف دليل على واقع التهميش والكبت المفروض على المجتمع السوري.

5/ المقبرة: تعتبر هي المأوى الأخير للإنسان، إذ يتحدد فيها مصيره حسب عمله في الدنيا ويعرفها "ياسين النصير": هي بيت من البيوت التي تنتهي فيها مرحلة الحياة، إنغلاقها يعني الأبدية، وانفتاحها يعني العلاقة بما هو فوق، أي أنها ترتبط بالعالم الداخل العميق [3]هذا يعني أن المقبرة مكان مغلق يعكس صورة الأسى والحزن، وفي الرواية حملت المقبرة دلالة الموت الذي شهدته المدينة، كما حملت دلالة الفناء الثقافي والسياسي والاجتماعي، فقد كان موت "يحي" إبن الخال "عبد المنعم" مثالاً عن الغدر والبطش المُمارس من طرف السلطة، يقول الراوي:« وصلوا إلى مقبرة العائلة، طلب الجنود منهم حَمْل التابوت ليُصَلي عليه شيخ كان في انتظارهم، خالي عبد المنعم هزَّ رأسه كمعتوه، تمتم بكلمات قليلة لم يفهم أحدٌ منها

[1] هنية جوادي، صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج، ص32.

[2] خالد خليفة، لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة،ص19.

[3] ياسين نصير، جماليات المكان في شعر السيا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،سوريا،ط1، 1995م، ص58.

شيئًا، الشيخ صلىّ عليه على عجل ...» [1] فالمقبرة هنا عبرت لنا عن الواقع التعسفي حتى في أجواء الدفن التي رافقها تشديد أمني وكانت دون عزاء .

كما عكست المقبرة صورة الأسى والحزن، كموت "سعاد"، عندما كان أخوها وسوسن يزورانها من حين لآخر:« ... المقبرة التي كانت مفتوحة في الفضاء أصبحت محصورة بين مجموعة بنايات يسكنها ريفيون...قُلْتُ لها: سُعَاد ستختنق من هذا الزُحَام» [2] .

فالمقبرة هنا هي مكان موحش عكس لنا واقع الحزن واليأس الذي عاشهما المجتمع الحلبي...

5)الجامعة: عبارة عن مكان مفتوح، وهي رمز للعلم والثقافة والإنفتاح على العالم الخارجي كما تُعبر عن الحضارة وتقدم الأمم من خلال الأبحاث التي يقوم بها طلابها وباحثوها.

أما في الرواية فالجامعة خرجت من مدلولها الأصلي، من مكان خاص بالبحث والتعلم إلى مكان للصراع السياسي، تُكتب فيها التقارير ضِدَّ من لا يقدمون الولاء للحزب، وتُبعث إلى مسؤولي الطلبة، يقول الراوي في حديثه عن الحزبيين:« منتفخي الصدور، يقرعون البلاط البارد في الممرَّات، يتجسَّسُون على أنفاس الطلاب والأساتذة والموظفين، الذين لا يجرؤون على اعتراض طريقهم، يُخرجون الطلاب من قاعات الدروس، ويقودونهم في مناسبات الحزب في مسيرات تأييد تنتهي بكتابة رسالة بالدم، وإرسالها إلى القائد المسترخي في قصره بعد إسكات أي صوت معارض ،واعتِقال عشرات الآلاف من طلبة الجامعة اليساريين والمتدينين ».[3]

كما نذكر (يحي) طالب الفيزياء، الذي انتسب إلى جماعة الإخوان المسلمين المعارضة للحكم، فخسر حياته غدرًا ،حيث يقول الراوي:« كانت آخر مرة رآه فيها والده وهو جثة مشوهة مرمية في مشرحة مستشفى الجامعة » .[4]

---

[1] خالد خليفة ،لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة،ص09.

[2] المصدر نفسه ،ص67. 68.

[3] المصدر نفسه ،ص72.

[4] المصدر نفسه، ص09.

وبهذا يمكننا القول أن الجامعة مكان مفتوح نقل لنا واقع الخرَّاب السياسي والثقافي في مكان يُفترض أن يكون منبرًا للعلم والتطور، بسبب الإضطهاد السياسي الذي مارسته السلطة في كل مكان من البلد، حيث تحولت الجامعة من مكان لطلب المعرفة إلى حلبة صراع سياسي بين أفراد البلد الواحد والمثقفون من المجتمع .

ب) الأماكن المغلقة:

هي ذلك المكان المحدود الذي يشكل فضاءًا ضيقًا، لما يتميز به من خصوصية واحتضانه لنوع معين من العلاقات [1]، كما أنه « يمثل غالبًا الحيز الذي يحوي حدودًا مكانية تعزله على العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير بالنسبة للمكان المفتوح» وهو « المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، ويبرز الصراع الدائم القائم بين المكان كعنصر وبين الإنسان الساكن فيه، فلا يتوقف هذا الصراع إلا إذا بدأ التآلف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه» [2] ،ويظهر هذا النوع بكثرة في الرواية وقد حظي بالكثير من الأوصاف، وهي كما يلي:

1)**البيت أو المنزل** :لقد أولى السارد أهمية كبيرة في وصف البيت في الرواية، ولقي الحظ الأوفر من اهتمامه باعتباره يجسد قيم الألفة بامتياز ومظاهر الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات وذلك لأن « بيت الإنسان امتداد له ».

ويظهر المنزل في الرواية بصورتين هما كالآتي :

أ) **المنزل القديم في ميدان أكبس:** هو المكان الذي كانت تعيش فيه عائلة بسيطة مكونة من أربعة أولاد والأب والأم في قرية ريفية ،وصورته التي جسدها لنا الروائي كانت مرفقة بانقلاب البعث في سوريا، هذا ما زاد المنزل فقرًا وبؤسًا، حيث تشتت العائلة، وفرَّ الأب

[1] خالد بن سعيد عيقون، التحليل البنيوي الشكلاني لجماليات السرد(الوظائف، الشخص، الزمن ،الصور، الدلالات) مطبعة الزيتونة، تيزي وزو،2004م،ص82.

[2] نوال بلحبراف وآخرون، شعرية الزمن والمكان في رواية تواشيح الورد "منى بشلم" مذكرة ماستر أدب حديث ومعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة،2014م،ص25.

هاربًا متخليًا عن عائلته ومنزله إلى مكان أكثر أمانًا، يجد فيه حريته ويحقق فيه أحلامه هناك في أمريكا.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن علاقة الشخصيات بالمنزل القديم هي علاقة تشتت وتفكك وضياع وعدم استقرار، حيث قررت الأسرة الهروب إلى حلب بحثًا عن العيش الهنيء، هو مكان عكس التنكر وعدم الوفاء ومراعاة المصلحة الشخصية.

ب/ المنزل الجديد في حلب: هو المكان الذي لجأت إليه الأم مع أبنائها بحثا عن الراحة والأمان، إلا أن حلمها لم يتحقق بسبب الأوضاع التي كانت تسود مدينة حلب من فساد وخراب وتشتت، فالأم عاشت انقلابات نفسية حادة، من جهة علاقتها المضطربة بأبنائها لا سيما "سوسن"، ومن جهة أخرى تشكيلها الدائم من نقص الأوكسجين « ننتظر نهوض أمي من غيبوبتها وتوقف هذيانها الدائم...[1] » ، كما أن الأولاد بدورهم لم يستطيعوا العيش بسلام وحرية، بسبب ما تعيشه المدينة من ترهيب وتسلُّط وجَبَروت الحزب، فقد انتقلت المأساة من الشوارع إلى البيت لتصبح كل الفضاءات تحمل معنى الخراب، لحظة التدمير هذه هي لحظة التي شوهت المكان وعبرت عن تصدع عميق أصاب البيوت وساكنيها، وتحول المكان إلى خراب ينِمُّ عن صراع وانتقام الحزب الحاكم ،فالأوضاع الخارجية جَعَلت الأبناء يعيشون في شتات فسوسن إنضمت إلى صُفوف المظليات رغبة في هزم البطش، ما أَتَى بعشوائيات بُؤْسِها لاحقًا وحطَّم حياتها، ورشيد إختار الجهاد في بغداد رَغْبَةً منه في الإحساس برجولته التي فقدها منذ صغره بسبب ضغوطات الحزب على الشعب :« سنة وثلاثة شهور مضت وأخبار متناقضة عن رشيد تؤكد أن أحدًا لم يرَ جثته، أخبار رجحت موته... »[2] « قبل موت أمي في الليالي الممطرة كنا نجلس نحن الثلاثة في غرفتي ونبكي بقوة، وأمي يتعالى سعالها بين الحين والآخر »[3]، فقد تحول معنى البيت ودلالته بتحول الواقع المعاش الذي

[1] خالد خليفة ،لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة،ص201.

[2] المصدر نفسه، ص215.

[3] المصدر نفسه، ص230.

طرأ على المدينة وعلى الشخصيات، إنه فضاء يمثل الألم والحسرة والضياع والأوضاع المتدهورة، وهو الذي يُفترض أن يكون فضاءًا للسكون والراحة والطمأنينة .

2/ السجن: هو ذلك المكان المغلق المنعزل عن المجتمع، يقيم فيه الشخص المذنب لتنفيذ العقوبة على انتهاك قام به في حق مجتمعه، وهذا ما تجسَّد في الرواية من خلال شخصية "نزار"، الذي زجَّت به عائلته في السجن بتهمة اللَّواط .

فالسجن في الرواية كان بمثابة مرآة تعكس ما يجري داخله من إهانات وانتهاكات لكرامة الإنسان، كما حدث لنزار الذي تعرض للاغتصاب من طرف أحد المساجين (الشيخ جمعة)، يقول الراوي:« وفي السجن يدهن الشيخ جمعة جسد نزار بعطور المشاييخ ويقوده إلى زاوية قريبة من المرحاض، يُعري مؤخرته ويضاجعه ككلب أجرب، لا يجرؤ على رفع صوت بكائه[1] » ، ورغم الإهانة والمعاناة استطاع نزار الصمود في السجن وكتب « على أكياس الورق نوتات موسيقية تتحدث عن الفراق والألم والصمت » [2]،وحتى بعد خروجه من السجن بقيت تلك الأيام السوداء تلاحقه، فكانت أخته الصغرى هي ملجأه الذي يُواسيه ويُخفف عنه.

لم يهتم الراوي بتقديم السِجن طوبوغرافيًا ورسم حدوده ومعالمه أكثر من اهتمامه بنقله على أنه فضاء لقهر الذات الإنسانية وذلّها، ويوحي بالإنغلاق والعجز والتقييد والضعف وهذا ما تجسَّد لنا في الرواية من خلال استحضار هذا المكان، الذي لا يعني بالضرورة ذلك الوضع الغير عادي في المجتمع ،إنما الأمرُّ من ذلك هو السجن النفسي والذي تفوق آثاره السجن المادي آلاف المرَّات.

[1] خالد خليفة ،لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص96.

[2] المصدر نفسه، ص98.

الفصل الثاني

تجليات الواقع في الرواية

أولا : الواقع الاجتماعي

ثانيا : الواقع الإيديولوجي

أولا: الواقع الاجتماعي:

تنحو الرواية إلى وصف الواقع الاجتماعي السوري وانتقاده، وتقدم بشكل أو بآخر صورة دقيقة عن هذا الواقع، وتكشف مظاهر اجتماعية وعلاقات خاصة، وتكشف عن ظاهرة السلطة والنفوذ في المجتمع السوري، حيث عمد الروائي إلى النبش في الأعماق مقدما لنا صورة اجتماعية تعكس حقيقة الوطن الذي نخرته مجموعة من الأمراض، والتي تفشت فيه منذ تولي حزب البعث زمام الحكم، واستطاع أن يكشف لنا مأساة دامية عاشها السوريون، لا يعرف عنها الشعب العربي إلا القليل.

وبما أن الكتابة الروائية هي نوع من الإلتزام الأدبي اتجاه الواقع والفئات البسيطة التي لا لسان لها، فالكاتب لسان من لا لسان لهم، ينوب عنهم وينقل همومهم، والروائي "خالد خليفة" بدوره عبر لنا في روايته عن هموم الشعب السوري، الذي كان ومازال تحت ستار حزب الشعب.

وسنركز فيما يلي عن بعض المحاور الاجتماعية التي عالجها في روايته، لا سيما المواضيع المسكوت عنها، حيث قدم لنا الروائي مقاربة تربط بين الاضطرابات النفسية والأوضاع الاجتماعية، وتناقش المسكوت عنه والمظاهر السلبية في مجتمع مسكون بهاجس العيب والخوف من العار.

ويعتبر المسكوت عنه سمة عريقة في تاريخ الكتابة، إذ تمتد جذورها إلى أعرق الحضارات العالمية التي عبرت عنها بشتى الأساليب والفنون واللغات، ولم يكن التراث العربي بمنأى عن تناولها، حيث تخاطب بها أصحاب النكات والشعراء وجماع الأخبار الذين قدموا عنها صورا في مصادر من قبيل: البيان والتبيين للجاحظ (الجزء الرابع)، وعيون الأخبار لابن قتيبة (باب النساء) ...، وقد عمد المعاصرون من أهل الأدب إلى حصر سمات المسكوت عنه في ثلاثة مواضيع (الجنس، السياسة، الدين)، وهي الكلمات التي يمكن اختصارها في عبارة "جسد"، التي تناولها الروائيون بأساليب تفاوتت بين المباشرة والإيحاء

والتلميح والتصريح، ومن المواضيع المسكوت عنها روايتنا: موضوع انحراف المرأة، المثلية الجنسية، الشعور بالعار وغيرها من المواضيع التي سنتطرق إليها لاحقا.

1-1/ إنفلات المرأة:

لقد نقلت لنا الرواية سيرة العار بكل معانيه، التي بدأت باغتصاب الحريات وانتهت بتراجع الأخلاق وفساد وخراب الطبقة الاجتماعية، حيث كشفت لنا آفات انقلاب البعث على المجتمع الحلبي من خلال شبكة من العلاقات الاجتماعية، ومن هذه الآفات أزمة تراجع الأخلاق التي أصبحت وباءا يتفشى في بعض فئات المجتمع السوري.

إن أزمة الأخلاق لدى المجتمع السوري صنيعة ظروف متعددة تظافرت وتشابكت، حيث عانت المرأة السورية كغيرها من أجناس المجتمع من الإستبداد والظلم والكبت والإستضعاف، وحملت في نفسها كل التقلبات النفسية الحادة التي يمكن أن يحدثها الكبت السياسي وحتى الاجتماعي، الذي أتى بعشوائيات البأس والموالاة وأدخلها في منعرجات تفرغ فيها ذلك الكبت، كما يؤثر تفكك الحياة الأسرية سلبيا على أفراد العائلة، ومن شأنه أن يؤدي إلى الانحلال الأخلاقي والانحراف مما يؤثر على نسيج المجتمع ذاته.

وفي الرواية حاول الروائي إبراز واقع الانحراف الأخلاقي الذي تفشى في بعض فئات المجتمع السوري، ومن أمثلة ذلك خيانة المرأة لزوجها وإقامتها علاقة محرمة وغير شرعية مع غيره دون احترام أعراف الدين الإسلامي وقواعده يقول الراوي: "...وخصوصا حين رأيناها تتبادل الشتائم مع جارنا الذي قتل زوجته بعد رؤيتها في أحضان عشيقها بائع الغاز، كل يوم يقف على باب منزله مساءا محاطا بأولاده الستة شاتما النساء" فرغم تحريم الدين الإسلامي لإقامة علاقة مع غير الزوج إلا أن تلك المرأة خالفت الشرع، وهذا ما انعكس سلبا على عائلتها، وأفقدها حياتها، وهي نموذج لواقع السفالة وتراجع الأخلاق عند بعض نساء المجتمع السوري.

كما جسدت لنا "سوسن" أخت السارد نموذجا آخر لتراجع الأخلاق لدى المرأة السورية، هذه الفتاة التي كرهت ضعفها واستضعاف جارها "فواز" لعائلتها، وما عاشته من

تفكك وخوف من حاضرها ومستقبلها المجهول جعلها تحتمي بالسلطة التي لم تأيدها يوما من أجل هزم البطش والضعف[1].

حيث بدأت أنوثتها تتلاشى، وكان تأييدها للحزب وانضمامها للمظيات بمثابة البوابة التي دخلت منها عالم التهتك والإنحراف، أين تعرفت على "منذر" وعاشت معه دون زواج وحلمت معه بالمجد والشهرة "اعتقدت بأنها ستصبح سيدة منزل منذر الدمشقي الواسع وتتجول فيه بحرية، تأمر المجندين والخدم بتحضير الإفطار، تشتم السائقين لتأخر الأولاد عن المدرسة وتدخل إلى حمامها الخاص ...."[2]، إلا أن منذر خيب أملها، تخلى عنها وهرب إلى أمان الطائفة ويقينها، هجر منذر لها جعلها تغرق أكثر في عالم الفجور والإنحراف، حيث غرقت في شهواتها كامرأة متمردة ترتاد الملاهي الليلية وتدمن الشرب وترافق الرجال " خرجت من الشقة، عادت إلى كرسيها في بار مونتانا، أكملت شرب ويسكي معتق على حساب سائح ألماني دعاها إلى مرافقته الشراب، قالت له إنها لبنانية قضت الليل في غرفته، أعطته جسدها مقابل مائتي دولار"[3]، إلا أن "سوسن" قررت بعدها تطهير نفسها من الشوائب، وركنت إلى أغطية الدين لتتخلص من عارها وتسترجع نفسها، وتخفي طعم الخذلان ومرارة الهزيمة " أرادت رمي وزر سنواتها الماضية بحثت طويلا عن خلاصها، ندمت على طيشها"[4]، وذهبت إلى طبيب شهير أخبرته أنها تريد إعادة عذريتها، إلا أنها لم تنجح في إعادة طعم البراءة إلى جسدها " كتبت له عن احساسها بالعار حين خرجت من عيادة طبيب نسائي رتق لها بكارتها، ولم ينجح بإعادة طعم البراءة إلى جسدها"، فقد ظل طعم العار يلاحقها ولم تتخلص من ماضيها الأسود، وسجلها الملوث بتقارير كتبتها عن رفيقاتها في المدرسة أودت بالعشرات إلى غرف التحقيق ودمرت مستقبل الكثيرات منهن[5]، لم

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 168.

[2] المصدر نفسه، ص 138.

[3] المصدر نفسه، ص 63.

[4] المصدر نفسه، ص 66.

[5] المصدر نفسه، ص 161.

تطل توبة سوسن كثيرا، عادت إلى حياتها المتمردة في مسعى لإيجاد نفسها التي ضيعتها، وسمحت لمصور أرميني لاحقها منذ سنوات بتصوير جسدها عارية ليفتتح به معرضه عن الجسد في باريس، كما أقامت علاقة غير شرعية من حبها القديم "جان عبد المسيح"، الذي حملت منه وسافرت إلى فرنسا مع "ميشيل" باحثة عن الإستقرار.

كما قدم لنا الروائي نموذج آخر لانحراف المرأة وانفلاتها في روايته، من شخصية المعلمة "هبة" التي تظهر هي ورفيقاتها للعلن بثياب العفة، وفي الخفاء تغرقن في التهتك والفجور إلى منتهاه، فهبة كانت تبدر عنها تصرفات غير أخلاقية، وهي مثال للفتاة التي تميل لبنات جنسها " فكرت سوسن أن هبة كانت تحبها، استدرجتها في أوقات كثيرة إلى تقبيل شفتيها كأية عاشقتين، براءتها وقتها لم تجعلها تصدق بأن هبة المحجبة، وابنة العائلة المحافظة تستهويها علاقات النساء"[1]، فعفة هبة التي تظهر أمام العلن تخفي وراءها انحرافا أخلاقيا وميولا شاذة.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن "سوسن" و"هبة" هما بمثابة المرآة التي تعكس واقع المرأة التي تنحرف كنتيجة لضغوطات اجتماعية وسياسية وواقع قاسي يجعلها تختار السير عبر الطريق السهلة والتي غالبا ما يكون وراءها رفاق سوء.

1- 2/ المثلية الجنسية:

صور لنا الروائي "خالد خليفة" في روايته ظاهرة أخرى تبرز التفسخ الأخلاقي وتراجعها في ظل الخراب الذي عاشه المجتمع السوري وهي ظاهرة المثلية التي تعتبر من المواضيع المسكوت عنها في مجتمعنا العربي.

وقد شكلت المثلية الجنسية أحد المواضيع الجاذبة للرواية العربية، وتأتي جاذبيتها في كونها موضوعا مثيرا ومسكوتا عنه، كان يعتبر إلى القريب واحدا من المحرمات الممنوع تداولها روائيا، رغم وجودها بكثرة في كتب التراث العربي الإسلامي.

[1] خالد خليفة ،لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 128.

وفي رواية " لا سكاكين في مطابخ المدينة" تعقب الروائي ترسبات الشذوذ والعفن الاجتماعي، وانفصام العلاقات، والتركيز على شخصية شاذة تتقاطع مع تصرفات من حولها، وقد تناول الروائي موضوع المثلية بشقيه الذكري والأنثوي.

تناول الكاتب شخصية "نزار" كشخصية شاذة، رغم كونه عازفا مشهورا ناجحا عمليا إلا أنه فشل اجتماعيا، مثلي منبوذ من طرف أهله الذين تمنوا موته والتخلص من عاره " ينظر بحقد إلى ابتهال، سمعها تطلب من أبيها قتله ورميه للكلاب الشاردة متحمسة لاقتراح عبد المنعم بطرده من المنزل"[1]، كما اتهموه باللواط وزجوا به في السجن، فمثيلته أفقدته نفسه وأهله وحريته.

نزار كان يميل إلى كل ما له علاقة بالنساء، تصرفاته وألبسته وعطوره " عشر صفحات كتب فيها نزار سيرته كاملة، لم يخف شيئا، إعترف بكل ثقة أنه يحب أنوثته"[2]، "إشترى مجموعة ألبسة نسائية شفافة من محلات فاخرة ومجموعة عطور، بناطيل جلدية وكتانية...."[3] فنزار وجد نفسه أمام مجتمع رافض كل الرفض لميوله، ووجد نفسه أمام كارثة لا يستطيع التحكم فيها أو تغييرها، أتت بعشوائيات بؤسه وتسبب في سجنه أين تخلى عنه أهله ولم يسألوا عن حاله، ما جعل منه شخصا مهمشا وهدفا مباحا للجميع، يتعرض للبصق كل صباح ويتحرش به السجناء كل ما أتيحت لهم الفرصة لذلك، ما عايشه نزار في السجن جعله يختار الإبتعاد والعيش لوحده في " بيروت" في مسعى منه لإيجاد استقراره وحريته، هناك رافق أصدقاء مثليين باحثا عن حب أبدي " أصبح لديه أصدقاء جدد رائعون، حدثهم عن رغبته بالحب وتجاهل عروض لإقامة علاقات عابرة"[4].

ومرافقته لحسين جعله يصرف كل نقوده على الهدايا الثقيلة لإرضائه، هذا ما أعاده إلى سيرة التشرد، وأصبح يبيع نفسه مقابل مبالغ ضئيلة يؤمن بها مكانا يأويه " يبحث عن

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 97.

[2] المصدر نفسه، ص 95.

[3] المصدر نفسه، ص 99.

[4] المصدر نفسه، ص 100.

سائقي التاكسي أو حمالين في مرفأ بيروت يصطحبونه إلى غرفهم الفقيرة يضاجعونه ويطلبون منه الرحيل"[1].

وبتعرفه إلى "مدحت" تحول إلى خادم وعشيقة وزوجة وتحول من "نزار" إلى "مها" يعامله أسوء معاملة، ويتلقى منه الإهانات، يتلقى الضرب إذا أخطأ ويقبل يده كزوجة مطيعة " بكت بحرقة حين رأت وجه خالي نزار مدمى وجسده أزرق من آثار الضرب بالعصا التي ينهال بها مدحت على جسده شاتما أمه وأخته وسلالته"[2] فمثلية نزار جعلت منه شخصا ضعيفا، خسر ماله وكرامته وحياته وأهله وشرفه نهشه الجوع والبرد وتعرض لأقسى الإهانات.

كما تناول الروائي موضوع المثلية بشقه الأنثوي من خلال شخصية "هبة" التي كانت تخفي ميولا نحو بنات جنسها وراء حجابها وعفتها وعائلتها المحافظة " بعد أربعة عشر عاما أفصحت هبة بكلمات قليلة عن رغبتها بسوسن كعشيقة أبدية...."[3].

فهبة لسنوات طويلة ظهرت بوجه العفة والطهارة أمام العلن وأخفت بداخلها وجهها الآخر الذي يحمل ميلا نحو بنات جنسها.

أما نزار فمنذ بداية الرواية ظهر مجرد من اتجاهاته الاجتماعية ومكوناته الحياتية، هو ذو اتجاه واحد، ألمه واحد وذنبه واحد لا يتعدى كونه شخصا أصابته سقطة الفاحشة.

وفي مجمل الفصول التي قدمها لنا الروائي نستنتج أن المجتمع العربي يدين الشذوذ والشواذ، فهي تهمة جديرة بإلحاق العار والحط من الشأن، فمثليو الجنس في مجتمعنا يعيشون حالة من الصراع الداخلي والخارجي، ويعانون من قلة المعرفة والأزمات الداخلية النفسية واضطراب العلاقات والخوف، فبطبيعة مجتمعنا الذي يعد منغلقا جنسيا لا يمكن للمثلي أن يهنأ بيوم بلا متاعب، لأنه أمام مجتمع رافض كل الرفض لميوله، ومن هنا يبدأ

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة ، ص 102.

[2] المصدر نفسه، ص 163.

[3] المصدر نفسه، ص 130.

الصراع ما بين الضمير الذي خلقه له المجتمع وبين ميوله كما حدث لشخصية "نزار" في الرواية.

1- 3/ الشعور بالعار:

العار أحد المفاهيم التي يخصص لها "خالد خليفة" تفاصيل مهمة في روايته، فتراه يستعيد التذكير بالعار بين الفصل والآخر، فالعار الأكبر متجسد في تدمير البلاد وتشويه الناس وتجريمهم، والتكتم على الموبقات التي ينشرها من يدعون أنهم حماة الوطن والحريصون على سلامته وأمنه، كحالة المعلمة "هبة" التي تعرضت للتعرية أمام الملأ من طرف الحزبيات بتهمة معاداتها للحزب والدولة، فتكون بعريها عارا للناظرين إليها والمنكسين رؤوسهم خوفا مما يجري على مرأى منهم، يقول الراوي: " اعترضن طريقها وقدمن لها علم الحزب لتقبله وتضعه على جبينها شاكرة، بصقت في وجوههن وأكملت طريقها"[1]، حيث تخلت "هبة" عن التدريس بعد العار الذي لحق بها وقررت الإنتقام لنفسها من الحزبيات اللواتي " مزقن ثيابها وبقيت عارية وسط الشارع، سارعت امرأة للفها بعباءتها، وبقية المارة نكسوا رؤوسهم ومضوا في طريقهم كأنهم لم يروا شيئا"[2]، فالعار الأكبر هنا يتجسد في صمت الناس أمام فعل دنيء كتعرية فتاة بريئة في الشارع دون تحريك ساكن.

فيما تكون الفتاة البسيطة "سعاد" عار الأسرة من وجهة نظر بعض أفرادها وخاصة الأم، التي من شدة تقديسها للكمال طمست أمومتها وأخفت ابنتها المريضة عن الناس وعاملتها كما لو أنها غير موجودة، وتمنت موتها في كل لحظة وحين " وفي أيام سعاد الأخيرة نسيتها أمي تماما، كجرو تئن طوال الليل في غرفتها الصغيرة الباردة"[3].

وحين توافيها المنية تدفنها كما لو أنها تتخلص من المهملات في الليل في مشهد شديد القسوة " تخفى سعاد عن زميلاتها اللواتي يتبادلن الزيارات بشكل دوري"[4]، وإهمال الأم

---

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 116.

[2] المصدر نفسه، ص 116.

[3] المصدر نفسه ، ص 38.

[4] المصدر نفسه، ص 37- 38.

لابنتها سعاد، جعل ابنتها الثانية "سوسن" تنقم عليها، وتحمل عار البصقة التي تلقتها منها، لسنين طويلة ظل ذلك العار يلاحقها " سنوات طويلة لا تفارقها صورة سوسن تبصق عليها، تنتبه لأول مرة إلى شعور العار الذي يلاحقها من كل جانب"[1].

وتجسد العار كذلك من خلال شخصية "نزار" الذي يعتبره أهله عارهم الذي يجب التخلص منه، وذلك بسبب مثليته وتصرفاته المثيرة للجدل في مجتمعنا العربي" يتابع تشكيله الدائم من عبد المنعم بوصفه جهرا بالمنيك الذي سيلوث شرف العائلة بالعار، وتحريضه لجدي على قتله أو التنكر له أمام الله والناس"[2].

فشعور عائلة نزار بالعار من تصرفاته الشاذة، جعلتهم يتمنون قتله أو التنكر له للخلاص من عارهم، وسلموه في آخر المطاف إلى الشرطة بتهمة اللواط عله يستقيم ويعود إلى طريق السداد.

ويتجسد العار مع شخصية "جان عبد المسيح" الذي ألف عنه كتابا بعنوان "عن العار ومشتقاته في الحياة السورية"، فجان عبد المسيح كان يشعر بالعار لرضوخه للحزب وصمته أمام البطش والذل الذي انتشر في كل مكان، قرر أن يصمت ويأخذ نصيبه من العار بسبب خوفه من الإعتقال " سبعة أيام قضاها جان في ممرات التحقيق جعلته يكتشف بأن ما قالته إيميلي عن الحياة هنا حكايات تألفها فتاة عزباء خيالها ضحل، لا تعرف شيئا عن سجناء سياسيين معلقين بخطافات كخراف في مسلخ، ولا تعرف شيئا عن خوف رجل يدعي الشجاعة ودون إرادة منه يفتح الصحف المحلية ليمتدح مقالات محرريها للحزب القائد والرئيس...."[3]، فصمت "جان" على الظلم والإستبداد جعله يشعر بالعار ويفكر في الإنتحار للتخلص من عاره.

إذن فكل هذه الشخصيات هي رمز كاشف للعار بكل معانيه، والذي لحق المجتمع السوري الذي لم يعد يمتلك تلك الشراسة والهمة التي يدافع بها عن حقه، أصبح ينظر إلى

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 99.

[2] المصدر نفسه، ص 34.

[3] المصدر نفسه، ص 55.

التقسيم المجتمعي والخراب الذي طال البلاد دون أن يحرك ساكنا أو يدلي برأيه، عار بكل وجوهه المعلنة والخفية، يبين عمق الفاجعة التي حلت بالشعب السوري.

1- 4/ اليأس والحرمان:

إن المتتبع للراوي وتداعياته حول المدينة وملامحها، يكشف لنا ذلك الملل والتوتر والضياع والرتابة واليأس الذي يصل بها وبسكانها، فالمجتمع السوري بأكمله دخل آنذاك سن اليأس الجماعي لما عرفه من جمود وعقم وعدم مواكبة العصر.

كما عانى المجتمع العربي برمته الكثير من الألام والأحزان واليأس والحرمان وأرغم على القيام بالكثير من الأمور دون رغبة منه، كما حدث مع شخصية سوسن التي اتبعت الحزب مجبورة بسبب الإهانات والإحتقارات التي كانت تتلقاها من جارها الرفيق فواز ويتجلى ذلك في قول الراوي في حديثه عن "جان" الذي حاول نسيانها بإحضار إمرأة أخرى يفرغ فيها مكبوتاته وقال بأنها " ماتت بالنسبة له من لحظة انضمامها إلى دورة مظليات صيف 1982 لا يصنف أي شيء خوف انزلاقه في اعترافات أنه يبحث عن قوته في ذلك اليوم الصيفي حين قرعت باب منزله دون سابق إنذار بعد غياب طويل لم يعرفها لأول ولهة، ظن أن الأمر مجرد عنوان خاطئ، فتاة ترتدي ملابس المظليين وترخي حقيبة سفر صغيرة على كتفها، مدت يدها وبقوة صافحته، دخلت دون انتظار دعوته، أخبرته أنها لا تحب عالم الضعفاء لم تعد تحتمل بطش، إخوة الرفيق فواز وأغانيهم الممجدة للحزب والقائد"[1].

لهذا قررت الانضمام للحزب، وهو نفس الشيء بالنسبة لصديقتها هبة التي تم تعريتها أمام المارة بسبب رفضها الامتثال لأوامر الحزب.

تعتبر الأم كذلك من أهم الشخصيات التي عاشت اليأس والحرمان " في السنوات الأخيرة فقدت رغبتها في العودة إلى منزل أهلها، لم تعد تشتاق له، ولم ينتبه أحد إلى غيابها سوى نزار، أحسنت بضيق شديد، يخبرها نزار في رسائله أن أباهما ما زال يستيقظ صباحا،

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 58- 59.

يرتدي بذلته المخططة ويخرج إلى محطة القطار...."[1]، فالأم هنا تشعر باليأس والحرمان بسبب الإهانات التي كانت تتلقاها من أختها ابتهال التي تحتقرها وتحتقر أبناءها كونهم من عائلة ريفية فقيرة لا تليق بهم.

1-5/ الفساد والخراب:

تكشف الرواية عن حالة اليأس الذي يخلفه الفساد الاجتماعي والإنساني الناتج عن انقلاب حزب البعث وتولي حافظ الأسد الحكم، وما نتج عن ذلك من انقسام البلد إلى شطرين منها المؤيد للانقلاب ومنها المعارض، وينتج الفساد هنا من عدم تقبل الآراء المعارضة للحكم والقضاء عليها بصور تصورها الرواية في مشاهد بشعة " حيث صادر ما تبقى من الحريات، أوقف تراخيص الصحف ومنع صدورها، عطل البرلمان وفرض دستورا جديدا، يمنح الرئيس المفدى صلاحيات مطلقة"[2].

كما يتجلى الظلم وسيطرة الحزب في قول الراوي " يسير الحزبيون في الجامعة كأنهم طلبة أو أساتذة أو عمال الإدارة بكل فخر واعتزاز منتفخي الصدور يقرعون البلاط البارد في الممرات يتجسسون على أنفاس الطلاب والأساتذة والموظفين الذين لا يجرؤون على اعتراض طريقهم يخرجون الطلاب من قاعات الدروس ويقودونهم في مناسبات الحزب في مسيرات تأييد تنتهي بكتابة رسالة بالدم...."[3].

ولقد اختار الروائي مصائر مفجعة تعكس عمق الفجيعة التي عاشتها الشخصيات مثل شخصية الجد الذي قضى حياته في محطة القطار التي يحلم بتحديثها ويبالغ في تشبثه بحلمه بها، والأب الهارب إلى أمريكا مع عشيقته يعكس التنكر والوفاء لأبنائه، وتركه لهم في مهب رياح هوجاء، والأم الغارقة في أحزانها وهموم أولادها الأربعة والخال نزار بجنونه وموسيقاه، كما أن سوسون ترمز بدورها إلى تماهي الضحية مع و تقاطع الحكم السلطوي

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 33.

[2] المصدر نفسه، ص20.

[3] المصدر نفسه، ص 72.

بالعهر واستغلال الجسد، فيما تكون الفتاة البسيطة عار الأسرة من وجهة نظر بعض أفرادها وخاصة الأم الناقمة عليها.

ومن خلال الفساد والخراب والرعب من السلطة تحولت حلب من مدينة محبوبة وجميلة تمنحهم البهجة وتفوح منها رائحة الياسمين إلى مدينة مدمرة ومخربة بأسلحة الحزب تفوح منها رائحة الفساد واللاأخلاق " تجول فيها الغربان، اقتسمها ضباط مخابرات ومسؤولون موالون"[1].

1-6/ الانهيار والتشتت العائلي:

إن السبب الرئيسي في انهيار وتشتت هذه العائلة هو هروب الأب وتخليه عن عائلته وخيانته لها بسفره مع العجوز الأمريكية إلى وطنها دون السؤال عن الوضع الذي سيحل بعائلته، فالأب هنا يعتبر صورة عاكسة للتنكر والوفاء لأبنائه وتركه لهم في مهب رياح هوجاء ، فهروبه مع عشيقته يدل على خيانته لزوجته التي وعدها بالعيش معا على الحلوة والمرة مدى الحياة إلى آخر نفس في حياته، لكنه خلف وعده يقول الراوي: "...وفهمت أنها ستكمل حياتها وحيدة حين رأته في حقل الرمان القريب يمسك بيد إيلينا" فالأم كانت تعلم أن حياتها مع زوجها "زهير" في نهايتها بعدما رأته بعينها مع امرأة غيرها، وهذا ما تحقق فعلا حين غادر معها في آخر المطاف، هاربا من واقع بلده المرير إلى حيث يجد السكينة والهدوء.

كما نجد الراوي يتحدث عن الحياة المخيفة والمرعبة التي عاشتها العائلة ويتجلى ذلك في قوله " هذيان سعاد المتواصل قبل موتها بأسابيع قليلة جعلنا نفكر بمصيرنا، أصبحت صورتنا العائلية المعلقة على جدار الصالون مصدر ثقل نفسي نحاول تحاشيه، وكذبا فاحشا لا يمكن إخفاءه، أبي هجرنا مع منقبة آثار عجوز علمتها أمي صنع مربى المشمش وأخت بائسة لا نعرف لماذا تهذي"[2].

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 72.

[2] المصدر نفسه، ص 12.

وقوله في موضع آخر " عاد أبي مخمورا، قلب الأشياء في الغرفة أيقضنا ولم يكترث لفزعنا، بصق على صورتنا العائلية المعلقة باحترام شديد سأل ما معنى أن نكرر اللحظات نفسها والمكان نفسه، يشتم الله كعادته لرميه في محطة مهجورة تنبعث منها رائحة الجيف وغباء موظفي السكك الحديدية مرددا أنه يستحق مكانا أفضل لتحقيق أحلامه"[1].

أي أن بصيص الأمل الذي رأيناه في عيني الراوي اختفى في لمح البصر وحلى محله التشتت العائلي الذي تذكره به تلك الصورة العائلية المعلقة على جدار الصالون، فسبب انهيار هذه العائلة يعود إلى كون العمود الفقري الذي ترتكز عليه كل عائلة وهو الأب لم يعد موجودا، تخلى عن عائلته وعن مهامه وقرر الهرب إلى بلد آخر يمنحه العيش بسلام.

كما يتجلى التشتت العائلي في عائلة الخال نزار الذي كان منبوذا لدى أفراد عائلته عدا أخته الصغرى حيث وصف منزل العائلة بمكان تفوح الكراهية من كل زواياه، شتم تفاهتهم أيام الأعياد وتسامحهم مع بعضهم بعضا، وادعائهم الأكابرية أمام الغرباء، حدث والده لأول مرة ووصفه بالرجل التافه الذي يهمه الاعتراف بحقيقة أنهم عائلة مفككة تشبه كل العائلات التي لا يهمها سوى صورتها خارج جدران المنزل"[2].

ثانيا: الواقع الإيديولوجي:

لقد كان اهتمام " خالد خليفة" بمصير الشعب السوري وتعاطفه معه سبيلا لكتابة هذا العمل الأدبي، حيث عرض المشاكل الداخلية التي يتخبط فيها المجتمع السوري منذ تقلد حزب البعث زمام الحكم، عارضا ما مارسه ولا يزال يمارسه الحزب من تعسف واستبداد على الشعب، متخذا من التفاصيل اليومية والسياسية عناصر أساسية يرتكز عليها في بناء هذه الرواية مثل العنف والترهيب والديكتاتورية.

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 12.

[2] المصدر نفسه، ص 97.

2-1 إيديولوجية الضغط والترهيب السلطوي:

في هذه الرواية صور لنا الروائي الحالة التي آلت إليها مدينة حلب بعد انقلاب حزب البعث، الذي صادر الحريات وأخضع الشعب لتغييرات سلبته روحه وتناثرت من خلالها الهموم والفجائع، فالشعب السوري عاش الغربة والخوف حتى وهو في وطنه.

جسد لنا الروائي إيديولوجية الترهيب والضغط التي مارستها السلطة على الشعب من خلال شخصية "جان عبد المسيح"، الذي عاش حياة موازية مع الحزب محاولا التأقلم معه دون جدوى، وحين حاول التمرد على الوضع السائد ورفض ترديد نشيد الحزب كتب عنه تقارير بالخيانة والتمرد وتم فصله من سلك التعليم يقول الراوي: " لم تتأخر التقارير التي وصفت جان بالعميل الخائن، ...لم يمهلوه ليودع طالباته، حمل حقيبته وخرج من المدرسة بعد تبليغه قرار فصله من سلك التعليم"[1]، فجان دفع ثمن مخالفته للحزب الذي قيد حرية التعبير وأجبر الشعب على الولاء له.

الأيام التي قضاها جان في غرف التحقيق جعلته يعيد التفكير ويدعي تأييده وولاءه للحزب، رغم يقينه بأنه ليس بالأمر الصائب، شعوره بالعار الذي ألف عنه كتابا جعله يفكر بالإنتحار "دون إرادة منه يفتح الصحف المحلية يمتدح مقالات محرريها للحزب القائد والرئيس بعد جلوسه على سرير عسكري"[2]، فخوف جان مما عاشه في غرف التحقيق جعله يؤيد الحزب رغما عنه، رغم أن يخفي تذمرا ورفضا بداخله لا يستطيع البوح به، وفضل الإحتجاج بصمت عن الخراب الذي كتب عنه صفحات طويلة لزوجته السابقة، ورغم كتابته بلغة فرنسية كان خائفا ومنتظرا استدعاءه للتحقيق.

رشيد بدوره شخصية عاشت واقع الخوف والترهيب، حيث تكونت لديه عقد نفسية نتيجة الترهيب والسيطرة التي فرضت على الشعب، فرشيد تعثر بالإلتقاء برجولته الرمادية بسبب ما عاشه من كبت وحرمان كبرا معه، ما جعله يتمنى الموت وينتظره بشغف عله يجد

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 54.

[2] المصدر نفسه، ص 55.

راحته في ظلمة القبور " يتحدث رشيد بثقة عن الموت بطعمه المختلف، يذهب في مديح الموت الإرادي، حيث يختار الشخص اللحظة المناسبة لإنهاء حياته ويتحرر من الكواليس ويعاند الأقدار، يتساءل ببساطة، لماذا يجب العيش كل هذه السنوات المكررة؟ وأي مصير بائس ينتظر الناس الذين يلتقطون السعادة"، فما عاشه رشيد من حزن وصدمات واغتصاب للحريات جعله يفقد الأمل في انفراج أحوال البلاد والتقاط السعادة، أصبحت صورته كمقاتل شجاع تثقل كاهله، فرحل إلى بغداد عام 2003، مع أقرانه المجاهدين ليقع في أيدي الأمريكيين، ويشي برفاقه ليضمن نجاته بكتابة تقارير عنهم، أراد أن يقاتل من أجل قضية لا يؤمن بها، فقط ليكون شجاعا ويحس بطعم الانتماء لمجموعة لا تخاف أراد اختيار لذة المقاومة والتمرد التي فقدها في سوريا، إلا أنه فشل في إيجاد نفسه ورجولته، ولم يحتمل ضعفه وخوفه وتحولنا حياته إلى كابوس فأنهاها بالإنتحار شنقا " فتحت باب غرفتنا وأصابني دوار، جثة رشيد متدلية من السقفة كلمبة كهربائية ملوثة بخراء الذباب"[1].

فالذل الذي تقاسمه السوريون طوال أربعة عقود من حكم البعثيين وما طبق عليهم من صمت وكبت، وقمع جعلهم يفقدون الأمل في بزوغ فجر عهد جديد، هذا ما تجسد لنا كذلك في شخصية "الأم" التي آمنت بأن البطش والقوة لا يموتان، ولم تصدق نهاية الديكتاتورية وموته، رغم ما أذيع على التلفزيون وما يكتب في الصحف عن خبر موته " لم تصدق أن الرئيس مات كأي شخص رغم مراسيم العزاء والحداد الوطني، وما يبثه التلفزيون من صور واستضافات لأشخاص عددوا خصاله"[2].

فالأم رغم رؤيتها لمراسم الدفن كذبت الخبر، هذا ما يوحي بمدى الرهبة واليأس والجبروت الذي ألحقه الحزب بالشعب السوري.

فقد كانت قسوة الاعترافات بالنسبة للروائي " خالد خليفة" أمرا حتميا لتفكيك الذاكرة وطرد عفنها، والاعتراف بأنهم جميعا كانوا يعيشون متجاورين مع الخوف والقمع الذي تحداه

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 255.

[2] المصدر نفسه، ص 7- 8.

رجل جائع أحرق زوجته وأولاده الأربعة ثم انتحر بسكين المطبخ، صارخا أن الموت حرقا أكثر شرفا من انتظار الموت جوعا، سائلا بحرقة: ألا توجد سكاكين في مطابخ هذه المدينة؟.

2-2/ حلب من الزمن الجميل إلى زمن الديكتاتورية:

في رواية " لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" حاول الروائي "خالد خليفة" فتح باب الذاكرة التي عادت به إلى الماضي ليمنع القارئ مجال التنقل في الرواية من أجل التعرف على الواقع الميت الذي حول المجتمع السوري إلى رماد، وذلك منذ انقلاب حزب البعث سنة 1963م، والذي أخضع الشعب لتغييرات سلبته روحه.

وقد عمد الروائي إلى إبراز تلك التغيرات التي عاشها الشعب من خلال عودته إلى الماضي وحديثه عن المدينة الجميلة قبل الإنقلاب، تلك المدينة المفعمة بالنشاط والحيوية، كل ما فيها يوحي بالأمل والسعادة والحياة، فتياتها الجميلات وشمسها المشرقة والغاربة، وترابها الذي تفوح رائحته المميزة بعد نزول المطر ويتجلى هذا في وقول الراوي على لسان أمه: " تصف بحماس ثياب رفيقاتها الأنيقة وروائحهن العطرة المفعمة بالأمل، تستعرض صور متظاهرات يشبهن ثمار قطن غير مقطوف، ناصع البياض تحت الشمس الغاربة تتابع مديحها للماضي، تستحضره بلذة منتقمة من حياتها الذليلة، تصف الشمس القديمة تشتاق لرائحة التراب القديم"[1]، فالراوي صور لنا الواقع الجميل الذي منح الأم السعادة قبل انقلاب البعث بداية من سنة 1963م، والذي سلب مدينة حلب حريتها وآمالها وطموحها، يقول الراوي: " ... الحزب الذي صادر ما تبقى من الحريات، أوقف تراخيص الصحف ومنع صدورها، عطل البرلمان وفرض دستورا جديدا يمنح الرئيس المفدى صلاحيات مطلقة الذي قام فورا بعد انقلابه باعتقال رفاقه ورئيس الجمهورية نور الدين الأتاسي ليموتوا في السجون بعد سنوات طويلة..."[2].

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 08.

[2] المصدر نفسه، ص 19- 20.

فالحزب صادر رغبات الشعب وأحلامهم، شغل كل المناصب الحساسة وتحكم في كل شيء هنا يظهر زمن الديكتاتورية والممتد حتى بعد موت الأب ومجيء ابنه عام 2000م فقد ظل الحزب مسيطرا على المدينة شوه معالمها وخلف شروخا عميقة بين الشعب الذي انقسم بين مؤيد ومعارض لسدة الحكم، هذا ما زاد اشتغال نيران البلد المنكوب والتي ظلت سمة عامة طوال عقود من الزمن إلى يومنا هذا.

2-3/ العنف السياسي:

لقد عمد الروائي "خالد خليفة" إلى النبش في الأعماق لتبيين واقع سوريا السياسي والدمار الذي حل بها مع تولي البعثيين للحكم، والذين خلفوا شروخا عميقة بين الناس المنقسمين بين مؤيدين تحت سطوة الترهيب، ومعارضين عاشوا مصائر مفجعة كالقتل والتعذيب..

فقد وطد الحزب حكمه في البلاد بقبضة حديدية استخدمها ضد خصومه السياسيين ثم تفرغ للقضاء على المعارضة الداخلية، وقمع كل صوت معارض باستعمال أساليب قهرية لتطويع مجتمعات بأكملها وإخضاعها للولاء، حيث جرى إجبار الناس باختلاف مناصبهم على تأييد الحزب والولاء له، والهتاف باسم الرئيس (حافظ الأسد) والرقص على الدبكات وسط الشارع، كما عسكروا المجتمعات وانتشر الحزبيون في كل مكان: في الجامعات والمدارس والشوارع "...حملة تطهير لم تترك في المدارس والجامعات إلا الحزبيين، تغاظوا عن وجوده بين مجموعة أساتذة حزبيين بعضهم يفاخرون قبل دخولهم الصف بوضع مسدسات ميكرويف روسية وزعت عليهم أثناء أحداث الثمانينات تحت قمصانهم، يزعقون طوال اليوم بولائهم..."[1]، حيث انعدم الأمن وانتشرت فتنة بين أبناء الشعب الواحد.

حيث لم تعرف سوريا الديمقراطية منذ توالي حزب البعث السلطة، والتي وصل إليها عن طريق انقلاب عسكري قاده " حافظ الأسد" سالبا بذلك البلد حريتها وثقافتها شاغلا كل

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 45.

المناصب الحساسة متحكما في كل شيء، بعد سجنه للرئيس السابق "نور الدين الأتاسي" ورفاقه ليموتوا بعد سنوات طويلة داخل السجون.

فقد زرع الحزب الرعب في كل مكان، عذبوا معارضيهم، وشردوا عائلات، اغتصبوا النساء وقيدوا الحريات، ووزعوا المناصب على كل من يؤكد الولاء لهم "أخبرتها سوسن بمرح أن كل شيء في الخارج على ما يرام، إذ لا يعقل أن تحرق أفخاذ النساء بالأسيد لأنهن يرتدين تنورات قصيرة، لا يعقل أن راعي ماعز برتبة عميد إشترى بناية الصابوني في منطقة الجميلية وحولها إلى دكاكين لبيع البضائع الصينية، كما لا يعقل أن يقوم أبناء الضباط باعتراض بنات العائلات وخطفهن إلى مزارعهم لاغتصابهن، تطمئنها أن كل شيء على ما يرام بلهجة تصدقها ماري بعفوية"[1].

فقيادة الحزب عمت الفوضى أرجاء الوطن لا قوانين ولا دستور انعدم العدل وعم الخراب ومن يعلن الولاء فقط بإمكانه النجاة، حيث أصبح الرئيس يملك كل الصلاحيات، يجمع بين مناصب الأمين العام لحزب البعث ورئيس الجبهة الوطنية التقدمية، ملك الحق في تسمية الوزراء وإعلان الحرب وحالات الطوارئ، أصدر المراسيم وعين الضباط والموظفين، حيث صادر الحزب كل الحريات وعطل البرلمان وفرض دستورا جديدا يخدم مصالحه ويمنح الرئيس كل الصلاحيات" احتفظ الحزب وحده بقيادة البلاد التي بدأت تتكيف مع قانون الطوارئ والمحاكم الاستثنائية، الرئيس الذي لم تصدق أمي موته عام 2000م استأثر لنفسه كل المناصب الحساسة من رئاسة الجمهورية إلى قيادة الحزب الحاكم وقيادة الجيش وحق تعيين قضاة المحكمة الدستورية وتسمية رئيس الحكومة وحل البرلمان"[2].

حيث عاشت سوريا في عزلة عن الواقع العربي والعالمي فرضته سياسات حافظ الأسد ومواقفة الرافضة للتفاوض حتى أفقد الشعب أبسط حقوقه والتي من أبسطها: حقه في حرية التعبير والإختيار وتقرير المصير.

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة ، ص 49- 50.

[2] المصدر نفسه ، ص 19.

كما كان عهد "حافظ الأسد" مليء بالمجازر والفجائع والجرائم التي طالت كل فرد سوري عارض الحكم، في مسعى لإسكات أي صوت معارض، ومثال ذلك في الرواية ما حدث "لجان عبد المسيح "الذي غير رأيه المعارض بعدما رآه من تعذيب وترهيب للشعب خلال الأيام التي قضاها في أروقة التحقيق ".....سبعة أيام قضاها جان في فقرات فرع الأمن العسكري جعلته يكتشف بأن ما قالته إيميلي عن الحياة هنا كتابات تألفها فتاة، عزباء خيالها ضحل، لا تعرف شيئا عن سجناء سياسيين معلقين بخطافات كخراف في مسلخ"[1]، حيث جرى تعذيب السجناء السياسيين بأبشع الطرق في مسعى لتغيير آرائهم المعارضة للحكم، ولعل ما حدث " ليحي" ابن الخال " عبد المنعم" الذي ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين خير مثال لتجسيد الأسلوب القمعي الذي استخدمه الحزب ضد خصومه السياسيين للقضاء على المعارضة الداخلية، التي كان أبرزها جماعة الإخوان المسلمين، حيث نجد في الرواية أن " يجي" قتل بأبشع صورة بعد تعذيبه في السجن، واتهامه بالمجرم والخائن للوطن وعوقب أقسى عقاب وهو الإغتيال، وحرم من أبسط حقوقه في الدفن دفنا يليق به كإنسان "خالي عبد المنعم لم يرى من الصورة سوى ابنه يحي الذي رآه آخر مرة جثة مسجاة في مشرحة مشفى الجامعة، محترق الوجه ومن دون أصابع على جسمه كدمات كابلات كهربائية وشقوق سكين متقيحة لم تندمل بعد"[2].

وهذه تعد إحدى صور قتل الإنسانية دون رحمة من أجل السلطة والجاه كما طال انتقام السلطة وجبروتها عائلة "يحي"، حيث تحول أبوه عبد المنعم من أستاذ إلى أب لمجرم وثم فصله من التدريس " خالي الذي تحول بين ليلة وضحاها من أستاذ فيزياء شهير إلى أب لمجرم فصل فصلا تعسفيا من التعليم ومنع من السفر إلى الخليج"[3].

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص 55.

[2] المصدر نفسه، ص 09.

[3] المصدر نفسه، ص 122.

2_4/ الهيمنة الحزبية وانقسام المجتمع:

لقد سعى الروائي "خالد خليفة" إلى تصوير خراب مدينة حلب وتفككها وانهزاماتها وسياستها من خلال تصويره لتشتت عائلة الراوي، لأن الراوي صورها لنا في حالة موحشة وخالية من الحياة مثلما هو الحال في حلب التي انقلبت رأسا على عقب منذ انقلاب حزب البعث، الذي كان من المفروض أن يتماشى مع حياة المواطنين لكن ما حصل هو العكس، حيث انقسم المجتمع السوري بين مؤيد ومعارض ومحايد للحزب، وقد مثل لنا الروائي ذلك الصراع السياسي من خلال الأبناء الأربعة، حيث تمثل الفتاة المريضة "سعاد" الطبقة الضعيفة من المجتمع واحتقار أمها لها يمثل احتقار الحزب لتلك الطبقة التي لا حول ولا قوة، فموتها يمثل الموت الذي يسلب الحياة لأبرياء من ناحية أخرى يمنحهم الخلاص من الذل والهوان.

أما الراوي فيمثل الطبقة المسالمة التي تؤمن بسعاد كاذبة وتقنع نفسها بالرضا الداخلي وعدم المبالاة بالبطش والظلم والاكتفاء بالعيش دون طموح أو تخطيط للمستقبل، فالراوي أقتع نفسه بأن العيش في الحاضر ينقذ إنسانا مثله يعيش دون أمل: " لا رغبة ولا أحلام ولا مستقبل ولا ماضي، هذه أقانيم السعادة التي آمنت بها، أقنعت نفسي أن العيش في الحاضر ينقذ إنسانا مثلي دون أمل، أخاف تدمير عالمي"[1].

إلا أن هذا لا يعني أن هذه الطبقة لم تعش التذمر والرعب، هي الأخرى عاشت الخوف من السلطة والضغط والترهيب ولم تدري أي مصير ينتظرها وسط ذلك التسلط والفساد.

وهناك طبقة معارضة ورافضة للحزب، مثلها "رشيد" الذي مثل في الوقت نفسه طبقة الجبناء الذين لم يحركوا ساكنا بسبب الخوف الذي دب في نفوسهم، يحاولون التخلص منه بشتى الطرق، إما بالانشغال بمتطلبات الحياة أو التقرب إلى الله أو حتى الانتحار كحل نهائي، مثلما حدث لرشيد الذي تساؤل مرارا عن سبب وجوده في هذا الوقت المشؤوم فتارة

[1] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة ، ص 238.

كان يعتقد أن خلاصه في موسيقاه وتارة ثانية في إيمانه الصافي بالله عز وجل " ... يعلق رشيد الغارق في قراءة القرآن، طواه وقال وكأنه لم يسمعها: القرآن ليس كتاب المسلمين فقط بل كتاب البشرية"[1]، وتارة ثالثة رأى أن خلاصه في الجهاد في حين المرة الأخيرة والتي حقق فيها خلاصة بنفسه هي انتحاره وإنهاء حياته التي لم يجد معنى لها بسبب ضغوطات الحزب على الشعب وعدم احترام آرائهم بالرفض والمعارضة.

إضافة إلى ذلك نجد الطبقة المتقلبة التي تارة تؤيد الفساد والخراب وتارة أخرى تعارض ذلك، وتمثل هذه الطبقة " سوسن" التي راعت مصلحتها الخاصة على المصلحة العامة، حيث رفضت الإستسلام للهزيمة وعيشة الذل والإهانة، هذا ما جعلها تلجأ للسلطة لتحافظ على وجودها، ولما أحست غدر السلطة عادت إلى أصلها وشعرت بالندم على ما فعلته سابقا، لكنها تبقى تبحث عن وجودها ولا تجده إلا في مكان الفساد، وهي تمثل ذلك الصنف من الناس الذي يختار السلطة فقط لأنه يرفض شعور الهزيمة ويريد خلق مكانة في المجتمع بأي ثمن، حتى وإن كان الثمن بيع نفسه ومبادئه ووطنه، وهذا ما حدث مع سوسن التي سلمت نفسها للحزب رغم أنه سلب الفرد حريته ونشر الفساد والرعب في البلاد.

إذن فالأسرة الحلبية مثلت لنا المجتمع الحلبي الذي نجد فيه مؤيد ورافض للحزب، ونجد فيه المحايد أيضا، وهذا الصنف يمثله الخال "نزار" الذي لا نجد له تضاربا مع الحزب وكأنه بعيد عن مدينة حلب.

إذن فأسرة الراوي اختصرت لنا مصير مدينة حلب وأفكار وتوجهات مجتمعها الذي سيطرت عليه الفئة الحزبية الحاكمة، والمتطرفة على عقول بعض المواطنين، الذين اختاروا الاستسلام ليضمنوا حياتهم، كل منهم حاول الصمود أمام قسوة تلك الظروف التي تعكس حالة الاهانة التي يتعرض لها الشعب السوري في دياره.

لقد شغلت مدينة حلب فكر "خالد خليفة" ولما لها من ذكريات محضورة في أخاديد الذات وحكايات متغلغلة في الأعماق سابقا كانت حلب مهدا الحضارات لها مكانتها وهيبتها،

[1] خالد خليفة،لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة ، ص 197.

تشد المجتمعات بسحرها وجمالها وتاريخها، واليوم أصبحت مشلولة وأصبحت الهيمنة الحزبية هي المتحكم فيها، فالروائي قدم لنا من خلال روايته الأوضاع الجديدة التي آلت اليها حلب بعد انقلاب البعث 1963م، برواية مكتوبة بحساسية صادمة ولغة رفيعة، تأخذ بقارئها منذ الصفحات الأولى إلى حقائق الخراب السياسي، هي أيقونة للموت المكافئ للنسيان وإعادة كاملة لرسم تفاصيل صغيرة مختبئة في مكان ما، إنها راوية عن ورطة الحياة بكل معانيها، يعود فيها الروائي إلى الكتابة جهرا عن كل ما هو مسكوت عنه في الحياة السورية، هي رواية عن الأسى والخوف والموت الإنساني، ناقش من خلالها الروائي مسألة تمس الوطن والوطنية والإحباط السياسي والاجتماعي، أثناء تصويره لتشتت الأسرة الحلبية كان يصور لنا فضاء القهر والعداء الممارس من طرف الحزب على الأهالي.

خاتمة

خاتمة:

ها قد وصلنا إلى آخر ثمرات عملنا الذي سعينا من خلاله إلى التعرف أكثر على الاتجاه الواقعي في الرواية العربية، وعلى ضوء هذه الدراسة خلصنا إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها كالآتي:

1- الواقعية اتجاه أدبي ظهرت في أوروبا إبان القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

2- الواقعية مذهب فرض نفسه في الساحة الأدبية كما يحمل من خصائص تسمح للكاتب بفك القيود والتحرر، فهي تسعى إلى تصوير الواقع كما هو وتظهر ما هو خفي وتفسره وتحلله.

3- تتميز المدرسة الواقعية بالموضوعية، ذلك أن الكاتب الواقعي ينزل إلى الواقع ويستمد منه موضوعاته.

4- الواقعية هي صورة للواقع ممزوجة بنفس الأديب وقدراته على تصوير الفني.

5- بداية تأثر العرب بالمذهب الغربي كان تأثيرا فرديا من طرف واحد، وقد جاءت الواقعية العربية نتيجة للتأثر المباشر بالثقافة الغربية.

6- "رواية لا سكاكين في مطابخ المدينة " تعبير عن وضع سياسي واجتماعي وثقافي عاشته سوريا خاصة، وركزت على المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع السوري، حيث حاول الروائي رصد الواقع من خلال رؤيته الأدبية والفنية والجمالية.

7- كشفت لنا الرواية عن كل ما هو ممنوع كشفه ومسكوت عنه في مدينة "حلب" التي أصبحت تعيش الظلم والإضطهاد والتشتت مع انقلاب البعث، حيث تحدث الروائي عن المدينة وفقا لما جرى فيها من أحداث لا يستطيع أي أحد كشفها أمام الجميع.

8- تنقسم الشخصيات في الرواية إلى شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية تساهم في تطوير الحدث.

9- عبرت الشخصيات في الرواية عن الواقع السوري، حيث تمثل كل شخصية حياة فئة معينة من فئات المجتمع السوري ورصدت لنا مشاكله التي يتخبط فيها كالمثلية الجنسية، وانحراف المرأة....الخ.

10- بين البحث أن المكان هو أحد العناصر الفعالة التي يمكن من خلالها رصد الأحداث فحلب بالنسبة لخالد خليفة هي ملهمته في كتابة الرواية.

11- حملت الأمكنة في الرواية دلالات وإشارات وإيحاءات أعطته قيمة جمالية وفنية.

12- كان لثنائية الإنفتاح والإنغلاق في الفضاء المكاني دورا بارزا في كشف الدلالات المخبأة، وهذا ما تجسد من خلال مدينة حلب التي تعد مكانا مفتوحا تحول إلى مكان مغلق بفضل الصراعات السياسية والديكتاتورية.

13- بسبب البطش والتسلط الحزبي تحولت الأمكنة المفتوحة في الرواية إلى أماكن مغلقة وأصبحت سمة الإنغلاق بارزة بكثرة في الرواية.

14- براعة الروائي في تصوير الواقع هي التي جعلت من راويته عملا روائيا بامتياز أوصل روايته إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) وحصولها على جائزة نجيب.

15- من خلال الرواية يتضح لنا أن الروائي خالد خليفة تحدث بلغة يغلب عليها الحزن والأسى عن الواقع الذي عاشه المجتمع السوري تحت حكم البعث.

16- خالد خليفة تحدث عن مدينة حلب وفقا لما جرى فيها من أحداث لا يستطيع أي أحد كشفها أمام الجميع سوى الذي يملك الجرأة مثله، حيث استطاع كشف الستار عن الأمور المسكوت عنها وإبراز مدى تأثير الحداثة في المجتمع السوري.

أخير نرجو أن نكون قد وفقنا ولو بقدر قليل في إنجاز هذه المذكرة، وأن نكون قد تمكنا من الإلمام ببعض الجوانب الهامة فيها طامحين إلى التعلم والاستفادة من أخطائنا التي يبقى على أساتذتنا الكرام تصويبها وتقويمها، ونتمنى أن يكون هذا البحث إضافة لميدان الدراسات الأدبية ليستفيد منه كل من أراد أن يتحدث عن موضوع الرواية الواقعية العربية.

ملحق

نبذة عن حياة خالد خليفة

ملخص الرواية

نبذة عن حياة خالد خليفة:

ولد خالد خليفة عام 1964م روائي سوري، كاتب سيناريو، وشاعر درس في جامعة حلب وحصل على ليسانس في القانون في عام 1988م، يكتب الشعر وهو عضو في المنتدى الأدبي في الجامعة كتب خليفة دراما تلفزيونية مثل مسلسل (قوس قزح) و(سيرة آل الجلالي) وبعض الأفلام الوثائقية والأفلام القصيرة، والأفلام الروائية الطويلة مثل فلم (باب المقام)،أسس مع أصدقاءه في جامعة حلب مجلة ألف أول مجموعة قصصية له هي (حارس الخديعة) نشرت في عام 1993م، روايته الثانية هي (دفاتر القرباط) وعلى إثرها تم تمجيد عضويته من قبل اتحاد الكتاب العرب لمدة 4 سنوات بعد أن نشر الرواية في عام 2000م قضى خليفة ثلاثة عشر سنة في كتابة رواية (مديح الكراهية) التي جذبت اهتمام وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم ووصلت إلى القائمة القصيرة في الجائزة العالمية للرواية العربية في دورتها الأولى في عام 2008م، ترجمت إلى اللغات (الفرنسية، الإيطالية، الألمانية، النرويجية، الإنجليزية، الإسبانية) وهي رواية تتكلم عن كيفية تأثر حياة أفراد أسرة سورية بالحرب الدائرة بين النظام السوري والإخوان المسلمين، ونشر فيها ما جرى لجماعة الإخوان المسلمين في حماة، وقد نشرت في دمشق قبل أن يتم حظرها، ولاحقا تم إعادة نشرها في بيروت، حيث يعلق على الحظر قائلا ‹‹ هذا النوع من الحظر للروايات، يأتي نتيجة البيروقراطية التي لا تمثل مستويات رفيعة من الحكومة ›› وبأنه يفضل التفاوض بين الفنانين والسلطات السورية من أجل ضمان حرية التعبير، منذ 2009 يعمل على روايته "مديح الكراهية" قال:‹‹ قبل كل شيء ،لقد كتبت هذه الرواية من أجل الدفاع عن الشعب السوري وسعيا للاحتجاج على المعاناة التي تحملوها نتيجة ذلك من العقائد الدينية والسياسية التي حاولت نفي حضارتهم العائدة لعشر آلاف سنة››.

الموقفه السياسي:

عرف خيلفة بمواقفه المناصرة للثورة السورية منذ لحظة انطلاقها، ولم يخف ذلك أبدا حيث أكد في أكثر من مناسبة مشروعيتها كخيار لا بديل عنه في مواجهة الظلم، كما سبق

أن تعرض للضرب حتى كسرت يده خلال اعتداء أجهزة الأمن السورية عليه أثناء مشاركته في تشييع الموسيقي السوري "ربيع غزي "في 26 أيار 2012م.

من مؤلفاته:

أولا:المجموعة القصصية:

1/ حارس الخديعة سنة 1993م.

ثانيا:دراما تلفزيونية:

1/ مسلسل قوس قزح.

2/ سيرة آل الجلالي.

ثالثا:الأفلام الروائية:

1/ باب المقام.

رابعا: الروايات المكتوبة :

1/ دفاتر القرباط سنة 2000م.

2/ مديح الكراهية سنة 2006 م حازت على المرتبة 95 ضمن قائمة list muse لأفضل مئة رواية لكل العصور، والقائمة الطويلة لجائزة الإندبندنت العالمية(2013).

3/لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة فازت بمدالية نجيب محفوظ للأدب سنة2013م.

ملخص الرواية:

تحكي رواية خالد خليفة ذات العنوان الطويل "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" على لسان أحد شخصياتها تاريخ مدينة حلب من خلال قصة عائلة سورية عادية عاشت حياة موازية مع الحزب الذي مارس عليها العنف والاستبداد والتسلط كما مارسه على باقي أفراد المجتمع تتكون الرواية من خمسة فصول لكل فصل منها عنوانا مستقلا وهي:

1/ الفصل الأول: حقول الخس هو أطول الفصول يبدأ من الصفحة 07 إلى الصفحة 83.

2/ الفصل الثاني: عنق ملوكي وحذاء أحمر يبدأ من الصفحة 87 إلى الصفحة 108.

3/ الفصل الثالث: جثث متفسخة يبدأ من الصفحة 111 إلى الصفحة 197.

4/ الفصل الرابع: طرق غامضة يبدأ من الصفحة 201 إلى الصفحة 220.

5/ الفصل الخامس: الأم الميتة يبدأ من الصفحة223 إلى الصفحة 260.

تبدأ الرواية بجملة يعلن فيها الراوي، عن موت أمه يقول:‹‹ في طريقي إلى المنزل تذكرت أن أمي لم تبلغ الخامسة والستين من عمرها كي تموت بهذه الطريقة المفاجئة›› بسبب هذا الموت المفاجئ ستنهمر الذكريات على رأسه مستعيدا تاريخ عائلته ،هكذا نتعرف إلى الأم التي تزوجت من زهير الشاب الريفي رغم رفض أهلها،فتعيش عزلتها المختارة ،بعيدا عن العسكر القادمين إلى مدينتها الأثيرة ‹‹ حلب ›› متعالية على الجميع في محاولة لنسيان عارها من زوجها الذي هجرها مع إيلينا المرأة الأمريكية التي تكبره بثلاثين سنة، بعد أن أدرك أنها‹‹ فرصته الوحيدة لتغيير حياته التي شعر بأنها توقفت عند ذه النقطة، موظف يحب أن يقدم الولاء الدائم للحزب والرئيس القائد كي يحتفظ بكل هذا البؤس ›› عبر السرد ننتقل بين شخصية وأخرى، من خلال الابن الأصغر للعائلة الذي ترافقت لحظة ولادته مع حدوث انقلاب عسكري أوصل حزب البعث إلى السلطة فيعيش حياة موازية لحياته، يتأثر بها ولا يؤثر فيها، نتابع عبر شخصيته حياة شخصيات الرواية التي عاشت الخوف والتوتر والانهزام والانكسار، فلا فرق بين الأم التي ذهبت ضحية لزوج هجرها وعار طفلتها سعاد المعوقة التي أحرقت كل ما تبقى من ألبستها وأفرشتها بعد موتها، والراوي الذي يعيش حياة موازية

للحرب، إلى سوسن التي كانت نموذجا لحالة التفتت الذي شهده الوطن، فهي تختلف عن بقية الشخصيات كونها متقلبات المزاج تارة مؤيد للحزب وتارة معارضة ترفض التماهي مع أمها المقهورة والصامتة التي كرهتها بسبب إهمالها لابنتها سعاد التي تتمنى موتها حتى تخفي عارها الذي سيقضي على أحلامها ،هي أكثر الشخصيات تمردا تحب مدرس اللغة الفرنسية جان عبد المسيح المنغلق على نفسه يتجاهل حبها مما يدقعها إلى الانخراط في كتائب المظليات، وكتابة تقارير عن زميلاتها، لاحقا تنتبه الى خسارتها بعد سلسلة أحداث عاصفة فتتمنى لو تعود ‹‹ امرأة نقية، غير ملوثة بالتقارير التي أودت برفيقاتها في المدرسة وعائلاتهم إلى التهلكة ››، في محاولة منها للهرب من عارها الشخصي، ستجد طرقا للتكفير والنسيان،إذ يساعدها خالها نزار المثلي الموسيقي العبقري الذي تتقاطع حياة أفراد هذه العائلة مع حياته، فيشاكرهم همومهم كأم حنون، هو الوحيد الذي استطاع رغم الهزائم والمؤامرات التي أقيمت ضده حين أراد أخوه عبد المنعم وأخته ابتهال قتله لإخفاء عاره، أن يعود مرة ثانية لأنه الشخصية الوحيدة المتسقة مع نفسها، ويحي ابن الخال عبد المنعم المتحول من شاب نابغة في الفيزياء يقرأ بحوثا من مجلة أمريكية وينتقد نظريات كلاسيكية إلى عضو في جامعة الإخوان، ثم يقتل بحوثا من مجلة أمريكية وينتقد نظريات كلاسيكية إلى عضو في جماعة الإخوان، ثم يقتل وتنشر صورة على أنه مرجم مع أنه كان يحلم مع أصدقائه بدولة ‹‹اليقين التي ستحل العدل›› إلى أبيه الذي تشرد بعد موته فصل من التعليم لاعتباره أب لمجرم وأصبح يعمل في مكتبة يبقى فيها طوال الوقت يفكر في ابنه الذي قتله الدولة دون رحمة هو الآخر ينتظر الموت الذي طال غيابة، مرورا بالخالة ابتهال المتعجرفة المغرمة بالطقوس العثمانية أكثر من شيء آخر وهذا التشبث المبالغ فيه بالحياة العثمانية أفقدها الكثير أولا أفقدها حياتها الزوجية مع هيثم الصباغ الذي سئم تصرفاتها وحديثها الممل طوال الوقت عن الحياة العثمانية، كما أفقدها احترام أخيها عبد المنعم لها الذي هو الآخر سئم تعجرفها وقراراتها الصارمة فقررت مجبرة القبول بالزواج من الرجل الستيني الذي يحترم الحياة العثمانية التي لا يعرف عنها أي شيء أفضل من أن ينتهي بها الأمر في أحد دور

العجزة تزوجت به وذهبت معه إلى السعودية وأصبحت تعمل خادمة في أحد المنازل لتعين زوجها والجد جلال النابلسي الذي قط وهو يصر على تحقيق حلمه بإنشاء محطة جديدة فمات تحت عجلات قطار بطيء، أما الجدة عاشت حياة أليمة مع زوجها الذي لم يعرها أي اهتمام كأنها خادمة في المنزل هي الأخرى كانت نهايتها الموت وهي تضحك ،وجان عبد المسيح هو الآخر بعد عودته من سويسرا مجبرا بعد تهديدات أخته إيميلي بأنها ستترك أمها تموت جوعا وعطشا وتسافر للزواج ،هزمه جلوسه أمام عمياء تنتظر موتا لم يأت،ولم يجد من يفرغ له مكبوتاته وآلامه سوى ابنه الذي يرسل له رسائل يخبره عن الأوضاع المزرية التي لحقت بمدينته الجميلة، يهرب جان بدوره من آثار الاستبداد التي طالته إلى فعل التكرار، وهبة صديقة سوسن فقد تم تعريتها من ملابسها أمام المجتمع في الشارع لعدم امتثالها لأوامر الحزب من طرف المظليات، وكذا الموت كان نهاية عائلة قام الأب بحرق ‹‹زوجته وابنائه الأربعة ثم انتحر بسكين المطبخ، صارخا في جيرانه الذين يراقبون ببرود: أن الموت حرقا أكث شرفا من انتظار الموت جوعا، سائلا بحرقة: ألا توجد سكاكين في مطابخ هذه المدينة؟››، وصولا إلى رشيد الابن الأصغر للعائلة الذي كان يعيش حياة مضطربة ومتوترة في المنزل الذي فقد روحه وحيويته بعد تخلي الأب عنه، وفي حلب التي سيطر عليها الحزب بدكتاتورية، هو الآخر كان يبحث عن خلاصه تبدلت أحواله من عازف موسيقي مع خاله نزار إلى مجاهد في العراق وانتهى به الأمر إلى الانتحار في آخر الأمر .

تشكل حلب بؤرة الرواية إنها المركز الذي يعود إليه الجميع بعد أن يهزموا خارجه، وكما تشكل حلب مركز الرواية كمكان لأحداثها، فإن لحظة موت الأم، تشكل أيضا مركزها الزمني من لحظة الموت تبدأ جميع فصول الرواية ،لتمضي في بنية شبكية إلى نهايات الأحداث، ثم تعود في بداية الفصل الثاني إلى النقطة الأولى، لتعاود مضيها من جديد إلى الأطراف حتى تنتهي إلى انتحار رشيد، هي رواية عن مجتمع عاش بشكل متوازي مع البطش والرغبات المقتولة، عبر سيرة عائلة اكتشفت أن كل أحلامها ماتت وتحولت إلى ركام، تحولت جثة الأم إلى خردة يجب التخلص منها ليستمر الآخرون في العيش.

قائمة

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

ثانيا:المصادر.

1- خالد خليفة ،لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، ط1 ،2013م.

ثالثا: المراجع.

2- إبراهيم عباس، الرواية المغاربية ،"تشكل النص الأدبي في ضوء البعد الإيديولوجي " دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1. 2005م.

3- أحمد زياد محبك، متعة الرواية: دراسة نقدية منوعة ،دار المعارف، بيروت، لبنان، د،ط، د،ت.

4- آمنة يوسف ،تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر والتوزيع ،سوريا، الجزائر، ط1، 2009م.

5- أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة) ،دار الأمل للطباعة والنشر، د،ط ،2007م.

6- حامد حنفي، داود، تاريخ الأدب الحديث تطوره معالمه الكبرى مدارسه ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية بن عكنون ،الجزائر،1993،رقم النشر 946 -9-4.

7- حسام الخطيب، جوانب من الأدب والنقد في الغرب ،ط1، 1997-1998م.

8- حلمي بدير، الإتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ،دار الوفاء لدانيال للطباعة والنشر،ط1 ،2002م.

9- حميد الحميداني، بنية النص السردي (منظور النقد الأدبي)،المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر ،بيروت ،1991م.

10- خالد بن سعيد عيقون ،التحليل البنيوي الشكلاني لجماليات النص السردي (الوظائف، الشخص، الزمن، الصور، الدلالات)،مطبعة الزيتونة ،تيزي وزو ،2004م.

11- الرشيد بوشعير، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوربية، دمشق ،الأهالي ، ط 1 ،1996م.

12-زكريا شريفي، مفهوم الواقعية في الأدب والفن، الموقف الأدبي، دمشق، كانون الثاني، يناير ،1974م.

13-سعيد بن كرد، سيميولوجيا الشخصيات السردية، دار مجدلاوي، عمان الأردن، ط1، 2003م.

14-سعيد رياض، الشخصية (أنواعها ،أغراضها، فن التعامل معها)،مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1.

15-سعيد يقطين، فيصل دراج، آفاق نقد عربي معاصر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سوريا، د.ت،ط1.

16-سيزا قاسم، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سلسلة إبداع المرأة،2004م.

17-شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشرالجزائر ،د.ط،2009م.

18-شعيب حليفي، شعرية الرواية الفنتاستيكية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

19-صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني "جماليات السرد في الخطاب الروائي"، در مجدلاوي،الاردن،ط1، 1996م.

20-صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1998م.

21-عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب، مع ترجمات نصوص لأبرز اعلامها، منشورات إتحاد الكتاب العرب، د.ط، 1999م.

22-عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت،1998م .

23-عماد حاتم، مدخل إلى تاريخ الآداب الأوروبية، ليبيا ، تونس، دار العربية للكتاب ،1399هـ-1979م.

24-محمد أحمد ربيع، في تاريخ الأدب العربي الحديث،دار الفكر،عمان، الأردن،ط2.

25-محمد بوعزة، تحليل النص السردي(تقنيات ومفاهيم)،الدار العربية للعلوم، بيروت ،ط1، 2010م.

26-محمد حمدي، مرشد الطلاب، منشورات المرشد الجزائرية،ط2، 2007م.

27-محمد مصايف ،النقذ العربي الحديث في المغرب العربي، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979م.

28-محمد مندور ،الأدب وفنونه مكتبة النهضة،مصر،القاهرة،ط5، 2006م.

29-مشري بن خليفة: القصيدة الحديثة في النقد العربي المعاصر، منشورات الإختلاف ، الجزائر،ط1، 2006م.

30-ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل النقد الأدبي، الناشر المركزي الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب،ط4، 2005م.

31-نبيلة إبراهيم، نقد الرواية ،من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب فجالة، مصر.

32-نسيب النشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،د.ط،1984م.

33-ياسين الأيوبي، مذاهب الأدب معالم وانعكاسات الكلاسيكية الرومنطيقية الواقعية، دار العلم للملايين، لبنان، ط2،أكتوبر1984م.

34-ياسين نصير، جماليات المكان في شعر السياب ،ذار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ،سوريا،ط1، 1995م.

رابعا: المراجع المترجمة .

35-غاستون باشلار، جماليات المكان: تر: غالب هلسا، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان.

36-لويس غارديه، أثر الإسلام في العقلية العربية، تر: خليل أحمد مطران، دار الفكر ،ط1 .

37-فليب فانتغيم، لمذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، تر: فريد أنطونيوس، عويدات للنشر والطباعة،ط3، 1986م.

خامسا: المعاجم.

38-ابن منظور ،لسان العرب ،دار صادر ،بيروت،ط1، م6، ج4، مادة،(وقع).

39-الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ج2، 1999م.

سادسا :المجلات

40-الشباب والتنمية، رؤية تنموية لمناصرة حقوق الشباب المغربي والعربي،طنجة،المغرب،ط1.

سابعا: الرسائل الجامعية

41-بولنوار سليمة، عيدوني فاطمة الزهراء(الواقعية بين الأدبين العربي والغربي رواية دعاء الكروان لطه حسين ورواية مدام بوفاري لفولبير دراسة مقارنة) مذكرة ماستر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان.

42-نوال بلحراف وآخرون، شعرية الزمان والمكان في رواية تواشيح الورد، "منى بلشم"، مذكرة ماستر أدب حديث ومعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة 2014م.

43-هنية جوادي: صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة دكتوراه جامعة بسكرة.

ثامنا: المواقع الإلكترونية

44-رهف المشاعر، نوع الراوي ودوره في الرواية الحديثة،www hmst 7ob net

فهرس

الموضوعات

شكر وعرفان

مقدمة: ..... أ-ج

مدخل تمهيدي: الاتجاه الواقعي في الرواية

تمهيد 5

أولا: مفهوم الواقعية.....6

ثانيا: أسباب ظهور الواقعية.....12

ثالثا: موضوعات الواقعية.....14

رابعا: خصائص الواقعية.....15

خامسا: اتجاهات الواقعية. 22

سادسا: نشأة الرواية الواقعية وتطورها. 26

الفصل الأول: النزعة الواقعية في الرواية.

أولا: واقعية الأحداث 33

ثانيا: واقعية الشخصيات 35

2-1/ مفهوم الشخصية 35

2-2/ أهمية الشخصية في الرواية. 37

2-3/ الشخصيات في الرواية وظاهرة صراع الأجيال 37

ثالثا: واقعية المكان وتجليات الدلالة الإيديولوجية في الرواية 45

3-1/ مفهوم المكان 45

3-2/ أهمية المكان. 46

3-3/ الأماكن المفتوحة والمغلقة ودلالتها في الرواية. 47

الفصل الثاني: تجليات الواقع في الرواية.

أولا: الواقع الإجتماعي 57

1-1/ إنفلات المرأة.....58
1-2/ المثلية الجنسية.....60
1-3/ الشعور العار.....63
1- 4/ اليأس والحرمان:.....65
1-5/ الفساد والخراب: 66
1-6/ الإنهيار والتشتت العائلي:.....67
ثانيا: الواقع الإيديولوجي: 68
2-1 إيديولوجية الضغط والترهيب السلطوي: 69
2-2/ حلب من الزمن الجميل إلى زمن الديكتاتورية: 71
2-3/ العنف السياسي:.....72
2_4/ إنقسام المجتمع في ظل الهيمنة الحزبية :.....75
خاتمة. 79
ملحق.....82
قائمة المصادر والمراجع. 88
فهرس الموضوعات. 93
ملخص

ملخص:

إن الواقعية هي اتجاه غربي، كان لها تأثيرها الخاص على الأدب العربي حيث اتجه الأدباء لتصوير حياة البؤس والشقاء، كذلك النعمة والرخاء فاستطاعوا إلى حد بعيد نقل حقائق هذا الواقع، كما تسلحوا بسلاح الأدب بما فيه الرواية لحل مشاكل المجتمع بأنواعها المختلفة، ومن هؤلاء المبدعين الروائي السوري خالد خليفة، وتكاد تكون الرواية العربية المعاصرة لوحة سياسية تصور لنا الواقع العربي المأساوي الذي آل اليه نتيجة الصراعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ورواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" للروائي السوري خالد خليفة تعتبر أحد هذه الروايات التي عبرت عن عمق الفاجعة والمأساة التي عاشها المجتمع السوري مع انقلاب البعث سنة 1963.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه – الواقعية – الرواية العربية

Résume :

Son propre impact sur la littérature arabe où il a dirigé les écrivains pour dépeindre la vie de la misère et de la misère, ainsi que la grâce et la prospérité de loin le transfert des faits de ce fait, armé d'une arme de la littérature, y compris le roman pour résoudre la société de différents types de problèmes, et les créateurs romancier syrien Khaled Khalifa, et presque roman arabe contemporain est un groupe politique représente la réalité tragique arabe, chacun en raison des conflits politiques, économiques, sociaux et culturels, et le roman « pas de couteaux dans les cuisines de cette ville, » le romancier syrien Khaled Khalifa est l'un de ces romans qui ont exprimé tragédie Mq et la tragédie vécue par la société syrienne avec le coup d'Etat Baas en 1963.

Mots-clés: Réalisation - Réalisme - Roman arabe